AT M/17614

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم الأنتربولوجيا

معهد الثقافة الشعبية
رقم الجرد A0162
تاريخ الوصول
رقم الترتيب

رعاية الطفل الرضيع

قراءة في العادات والتقاليد

المنتشرة بمنطقة سيدي بلعباس

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية

تخصص : الأنتربولوجيا

إعداد الطالبة :

وهيبة مهيدة أبوبكر

إشراف الدكتور:

صبّار نورالدين

السنة الجامعية

2003-2002

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبوبكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم: الثقافة الشعبية

شعبة: الأنثربولوجيا

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجيستير في الثقافة الشعبية

تخصص: الأنثربولوجيا

رعـــاية الطفـــل الـــرضيع
قراءة في العـادات والتقاليـد
المنتشرة بمنطقة سيدي بلعبـــاس

إعداد الطالبة:

وهيبة مهيدة أبوبكر

إشراف الدكتور:

صبار نور الدين

لجنة المناقشة

الدكتور رشيد بن مالك رئيسا

الدكتور صبار نور الدين مؤطرا ومقررا

الدكتور بلوحي محمد مناقشا

الدكتور سعيدي محمد مناقشا

السنة الجامعيـــة

2003-2002

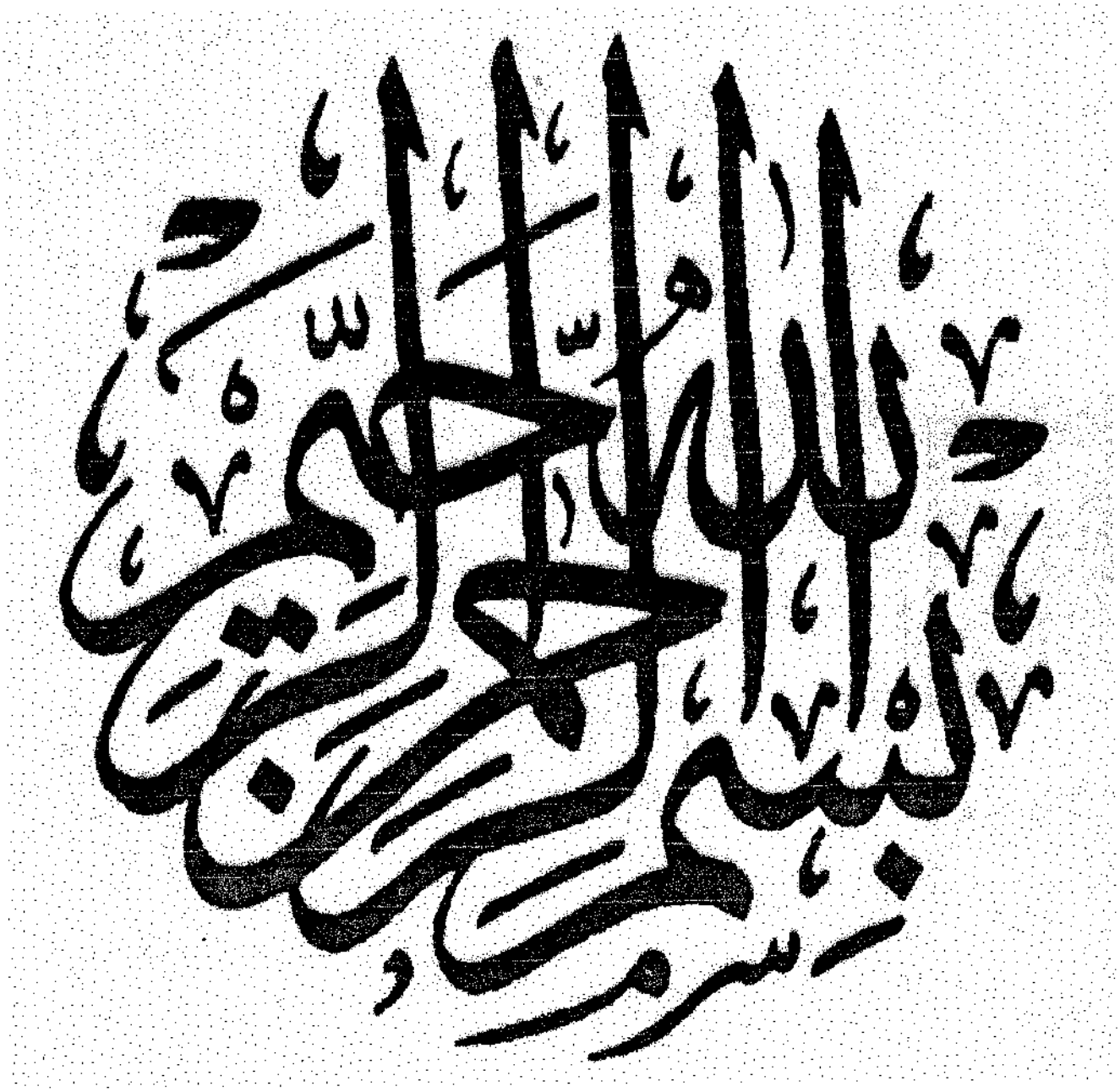
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أقدم شكري الخالص إلى كل من شجعني على المضي قدما في موضوع هذا البحث، وكل من ساعدني على إنجازه وتقديمه في الشكل الذي هو عليه الآن، وعلى رأسهم : الأستاذ الدكتور المشرف صبّار نور الدين، على إرشاداته القيمة.

وإلى الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بقراءة المذكرة ومناقشتها،

وإلى الصديقات : أمينة بوعناني، وشهاب سامية على مساعدتهم لي في إنجاز هذا العمل.

وهيبة مهيدة أبوبكر

الإهداء

إلى والدي الكريمين

إلى زوجي الذي طالما شجعني على الإستمرار في البحث والدراسة

إلى إبنتي الصغيرة فرح نسيبة

وإلى أخي وأخواتي

أهدي هذا العمل المتواضع

وهيبة مهيدة أبوبكر

الخطة

المقدمة

الفصل الأول : الفرد، الثقافة والمجتمع

المبحث الأول : المجتمع

المبحث الثاني : الثقافة

المبحث الثالث : علاقة الثقافة بالمجتمع

الفصل الثاني : العادات الإجتماعية

المبحث الأول : تعريف العادات والتقاليد وأهميتها الإجتماعية

المبحث الثاني : نشأة العادات الإجتماعية، خصائصها ووظائفها

المبحث الثالث : أنواع العادات الإجتماعية

الفصل الثالث : العادات والتقاليد السائدة في سيدي بلعباس والمتعلقة برعاية الطفل الرضيع (دراسة ميدانية)

مدخل : الفضاء الجغرافي و التاريخي للمدينة.

المبحث الأوّل : سرد لكل العادات السائدة في المنطقة و المتعلقة برعاية الطفل الرضيع.

المبحث الثاني: الإستمارة وتفريغ البيانات مع قراءة في النتائج.

المبحث الثالث: الاستنتاجات

الخـــاتـــــة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أمّا بعد...

إن المجتمع، هو جماعات أساسها الأفراد، والثقافة هي أساليب عيشهم، وكل ما يحدثه الإنسان من وسائل توافقه مع الطبيعة ومع الجماعة، بما فيها من عادات وتقاليد ومعتقدات وأعراف وغيرها من تجليات الثقافة.

وقد أردت من خلال هذا البحث أن أتناول العادات والتقاليد التي تحيط بعملية رعاية الرضّع، في منطقة سيدي بلعباس، وذلك لالتماسي، من خلال ملامح العولمة التي نعيشها اليوم إشكالية اصطدام المجتمعات التقليدية بالحضارة والتخصص الثقافي والتقدم التقني، حيث تولد لدي اهتمام بالجانب التقليدي للمجتمع الذي نعيش فيه، وبخصوصياتنا كمجتمع تحكمنا في كثير من سلوكاتنا، العادات الاجتماعية والأعراف والمعتقدات وإن كانت حقيقة سائدة في جل المجتمعات، حيث عبر عن ذلك هرتزل بقوله: "إن أكثر من ثلثي سكان العالم يعيشون في مجتمعات ساكنة، عتيقة، مقاومة للتغير والتجديد."[1]

(1)د.محمد الحسيني وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، الطبعة 4، دار المعارف، القاهرة، الصفحة 376.

وبالنسبة للأهداف والتساؤلات المتوخاة من دراستي الميدانية هذه، فتتمثل في معرفة طبيعة تلك العادات الاجتماعية المنتشرة في أوساط الناس والمتبعة من قبلهم والخاصة بولادة ورعاية الطفل في أولى سنوات حياته،

- حصرها ووصفها .
- الكشف عن مدى تمسك الناس بها .

أما عن مجالات البحث الميداني والبشري، فارتأيت أن أستجوب النساء المترددات على مصلحة طب الأطفال بالمستشفى الجامعي الدكتور حساني عبد القادر بولاية سيدي بلعباس، كوني أولا من سكان المدينة، وثانيا كون العمل هناك وفر علي عناء التنقل خارج المدينة، نظرا للظروف الأمنية، كما أن المصلحة الكائنة بالمستشفى الجامعي، تستقبل بمعدل 30 مريض في الأسبوع يقيمون لفترات متفاوتة حسب طبيعة المرض يتلقون أثناءها العلاج اللازم كما أن أغلب المرضى الذين يترددون عليها هم من الدوائر والبلديات، أي خارج المدينة .

ولقد أكدت بحوث الكثيرين من علماء الاجتماع، بأن بساطة الحياة الاجتماعية في الأرياف وبطء وتيرة التغيير في المجالين المادي والفكري مقارنة مع المدن، هو الذي يجعل السكان يتشبثون أكثر بعاداتهم وتقاليدهم ويتمسكون بكتلة التراث وما يحمله من قيم .

وبالتالي فالاختلاف واضح بين هؤلاء وأولئك الذين يسكنون المناطق الحضرية، حيث تعقيد الحياة والخصوصية السائدة فيها يجعلهم أكثر تفتحا من غيرهم على التجديد والتغيير.

أما عن المجال الزمني، فقد استغرقت مدة البحث ثلاثة أشهر ابتداءا من شهر فبراير 2001، وقد فصلته إلى قسمين. القسم الأول قمت به بعد ولادتي لإبنتي، وذلك بشكل عفوي، فأثناء زيارة كثير من أفراد عائلتي والأصدقاء لي، كنت أثير محادثات حول موضوع التقاليد والأساليب المتبعة في رعاية الرضّع، فكانوا بمثابة المخبرات Les informateurs، وقد استفدت كثيرا من هذه الفترة واستقيت الكثير من المعلومات، أما القسم الثاني، فقد قمت به في مصلحة طب الأطفال في شهر أكتوبر من سنة 2001، حيث وزعت استمارات مست مائة مستجوبة، أمهات الأطفال المرضى المقيمين بالمصلحة، كان الهدف منها معرفة نسبة الاعتماد على العادات والتقاليد ومدى الاستعانة بها مقارنة بالاستعانة بالأساليب الطبية، وأذكر أني وجدت كثيرا من الصعوبات في البداية، كون الأطباء يوصون بضرورة اتباع الأساليب الطبية الحديثة وترك الأساليب القديمة، لما قد تسببه من خطورة على صحة الأطفال، وهذا الأمر جعل المستجوبات كثيرات الحذر والتردد قبل الشروع في الحديث عن عاداتهم وتقاليدهم. وقد كان

الاستجواب أمثل طريقة لاستقاء هذا النوع من المعلومات وملء الاستمارات، فبالتحدث والأخذ والرد في الكلام، الذي كان يضفي شيئاً من الحميمية والدفئ على الحديث، إستطاعت الكثيرات من المستجوبات، الاسترسال والتداعي، والإدلاء بتفاصيل تجاربهن في التربية، ومعاناة بعضهن مع المحيط الأسري، لاسيما الجدات اللواتي تضطلعن بهذه الأمور وتفرض أشياء قد لا تكون مستحبة لدى الأم الوالدة.

وبالنسبة للمنهج المتبع، فقد استعنت بالمنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف السلوك الاجتماعي للأفراد، وما يبرزه من تمسكهم بالعادات والتقاليد المتوارثة، ثم المنهج الإحصائي لتبيان مدى ذلك التمسك، عن طريق تفريغ البيانات في جداول ورسوم بيانية، وبالإضافة لأدوات البحث التي ذكرتها من استجواب واستبار عن طريق الاستمارات، فقد عمدت أيضا إلى الملاحظة الشخصية، أتاحت لي تجربتي الخاصة في فترة البحث فرصة الملاحظة المشاركة.

وأما بالنسبة للخطة التي انتهجتها في دراستي للموضوع فتمثلت في المراحل الآتية:

• الفصل الأول، المعنون بـ: الثقافة، الفرد والمجتمع.

تطرقت فيه لطبيعة الفرد الاجتماعية، ثم لمفهوم الثقافة باعتبارها أسلوب عيش الأفراد داخل الجماعات، ثم تطرقت للفروق الواضحة بين ما هو ثقافي وما هو اجتماعي، وذلك بإبراز علاقة الثقافة بالمجتمع.

• الفصل الثاني، المعنون بـ: العادات الاجتماعية.

عرفت من خلاله العادات والتقاليد وأبرزت أهميتها الاجتماعية باعتبارها تجلي من تجليات الثقافة، أو كما يعتبرها "سمنر" أهم محتوياتها.

كما تطرقت فيه لنشأة هذه العادات وأهم ما يميزها من وظائف وخصائص، ثم استعرضت أنواع العادات الاجتماعية، من تقاليد وأعراف وموضات وغيرها سواء كانت من العادات التقليدية أو المستحدثة.

• الفصل الثالث، درست فيه ميدانيا طبيعة العادات المتعلقة برعاية الطفل الرضيع في منطقة سيدي بلعباس، وما يحيط بهذه الرعاية من تطبيب ووقاية، وقد استهليته بلمحة عن المنطقة، ومعطياتها التاريخية والثقافية، ثم قمت بسرد أكثر هذه العادات انتشارا سواء كانت متعلقة بالوحم والحمل أو بالولادة ورعاية الطفل والأم أو تلك الاعتقادات الشائعة والمعمول بها في المنطقة.

ثم خلصت إلى الاستنتاجات الأولية التي حصلت عليها بعد تفريغ بيانات الاستمارات الاستبيانية، لمعرفة مدى تعلق الناس بالعادات والتقاليد من خلال بعض القرائن.

هذا ورغم الجهد المبذول لإنجاز هذه الدراسة المتواضعة، فإنني أشعر أن هناك جوانب عديدة وذات أهمية بالغة في هذا الموضوع، لم أستطع حصرها وتقديمها كأساليب التطبيب الشعبي العديدة والمختلفة والمتبعة بكثرة، والتي قد تكون ذات خطورة على فيزيولوجية الأطفال، حيث إكتفيت بذكر البعض منها.

وعموما، فإنني أردت أن أضع من خلال هذا العمل لبنة، وأضيف إلى مكتبة الجامعة الجزائرية رصيدا آخر من ثقافتنا الشعبية التي نحملها في أساليب عيشنا، وأن أبرز ما لهذه الثقافة من أهمية في تحديد سلوكاتنا، دون أن أكون في مقام الحكم على قيمتها، فالهدف من هذا البحث هو التعريف بها وحصرها وتقديمها للقارئ.

وأخيرا، وليس آخرا، أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذه الدراسة المتواضعة، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور صبّار نور الدين، بما أمدني من إرشادات وتوجيهات سديدة.

وفي الختام، أسأل الله التوفيق والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مهيدة وهيبة أبو بكر.

يوم الأربعاء 20 فبراير 2002

الفصل الأول

الفرد، الثقافة والمجتمع

المبحث الأول: المجتمع

المبحث الثاني: الثقافة

المبحث الثالث: علاقة الثقافة بالمجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾

سورة الحجرات الآية رقم *13*

المجتمع:

في سياق الحديث عن طبيعة الفرد الاجتماعية وعلاقته بالمجتمع ولتفسير طبيعة هذه العلاقة، أي طبيعة انتمائنا للمجتمع وانتماء المجتمع إلينا ومدى توقف سلوكاتنا عليه وعلى وحدته وسلطته على الفرد وذلك باعتبار الإجابة على هذه الأسئلة نقطة الانطلاق لأي بحث أنثروبولوجي اجتماعي ميداني، تجب الإشارة قبل ذلك إلى مفهوم كلمة المجتمع ومدلولها في الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع فقد عرف جون ديوي المجتمع بأنه (1) : « كلمة واحدة، ولكنها أشياء كثيرة لا حدّ ولا حصر لها فهي تشمل كل الطرق والوسائل التي يشارك الناس خبراتهم بواسطتها في تعايشهم وترابطهم وإقامتهم لمصالح مشتركة وأهداف وغايات مبتغاة وهو سبيل من المعاشرة والمشاركة بطرق معينة، بحيث أن الأفكار و الانفعالات و القيم تنتقل و تنفذ في عمومية مشتركة، مصدرا و سريانا و تطبيقا ».

وعرفه البروفيسور "هو بهوس" « بأنّه مجموعة من الأفراد تقطن بقعة جغرافية محددّة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين واللغة والتاريخ ».(2)

(1) قاموس جون ديوي للتربية : « مختصرات من مؤلفاته»، جمعها : رالف . وين . ترجمة محمّد علي العريان، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964 ،الصفحة 187.

(2)دينكن متشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة و مراجعة : إحسان محمّد الحسن، الطبعة الثانية، بيروت دار، مارس 1986، الصفحة 226.

فالمجتمع هو تلك الشبكة المعقدة والمتداخلة فيما بينها من العلاقات والنظم والتنظيمات التي قام الإنسان بوضعها ورسم معالمها.

كما عرّف المجتمع، بأنّه مجموعة من الأفراد تكون في حالة اتصال دائم.

ولها أهداف ومصالح مشتركة متبادلة، وبالإتصال الدائم نعني جميع التفاعلات والروابط التي تجمع بين الأفراد مهما تكن هذه الروابط مباشرة أو غير مباشرة، شعورية أو لاشعورية، تعاونية أو عدائية والمجتمع يتكون من مجموعة جماعات تكون في حالة اتصال وتتفاعل الواحدة بالأخرى والجماعة هي مجموعة من الأفراد تكون في حالة اتصال وتداخل لها أهداف معيّنة.(1)

وقد أشار "جون ديوي" لأهمية المجتمع بالنسبة للفرد، بقوله (2):
« الأفراد يتفاعلون في علاقاتهم، و الفرد معزولا عن العلاقات الاجتماعية فإنه خرافة أمر أو هول فظيع ».

وفي نفس هذا السياق، ذهب كثير من علماء الاجتماع بأنّه لا وجود للفرد خارج حدوده البيولوجية.(3)

لقد اقترن الاهتمام بالمجتمع في علم الاجتماع و الأنثربولوجيا أيضا بالفرد وعلاقتهما ببعضهما البعض. وتجدر الإشارة في هذا الصدّد إلى نظريتين أساسيتين في تاريخ الفكر الاجتماعي الأولى، هي نظرية التعاقد مع المجتمع والثانية هي النظرية العضوية للمجتمع، (4) كما سنذكر آراء " ابن خلدون" حول نشأة المجتمع.

(1) دينكين ميتشل، نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.

(2)قاموس جون ديوي للتربية، المصدر السابق ص 156.

(3)-Edward, Sapir (1921) Anthropologie. Tome I : Culture et Personnalité, Version électronique, Internet, Paris Editions de minuit, 1967, Collection le sens commun Page 120.

(4)- ر.م . ماكيفر، شارل بيج، المجتمع، ترجمة الدكتور علي أحمد عيسى، الطبعة 2، القاهرة مؤسسة فران كلين للطباعة و النشر مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية، 1961 الصفحات 87-88.

أ- نظرية التعاقد مع المجتمع :

منذ القرن الخامس قبل الميلاد، نظر فلاسفة عديدون إلى المجتمع كنظام يقوم على مجموعة من النّاس، لتحقيق غاية معينة وما هو « إلاّ وسيلة لحماية النّاس من نتائج طبائعهم الجامحة » على حدّ تعبير " توماس هوبز "، ورأى آخرون مثل " آدم سميت " « بأنّه ابتكار مصطنع لتحقيق الاقتصاد المتبادل » و قد سايره في هذا المنحى دعاة الفلسفة الاقتصادية، كما ادعّى الفرديون في القرن 18، بأنّ الإنسان ولد حرّا و مساويا لغيره في المرحلة التي عاش فيها على الفطرة، و أنّه أبرم عقدا اجتماعيا لسدّ حاجاته الاجتماعية المتعلقة بتنظيم حياته وحمايته داخل الجماعة.

وغيرها كثير من الآراء التي تنظر إلى المجتمع وكأنه قائم على نوع من التعاقد الحقيقي فيما بين الأفراد أنفسهم، أو فيما بين الأفراد و الحكومة كما أشار لذلك "روسو" في كتابه العقد الاجتماعي و لو أنّ هذا الرأي أستخدم من أجل تأييد حماية الأفراد داخل المجتمع، كما استخدم أيضا من أجل تعزيز دور التنظيم السياسي في المجتمع، و إكسابه قوته الشرعية في بسط سلطته و التمكن من السيطرة على الحكم.

فالمجتمع ابتكار استحدثه الأفراد و سهروا على دوام قيامه.(1)

(1) ما كيفر و بيج، المرجع ر السابق ص 89.

ب-النظرية العضوية للمجتمع:

في مقابل نظرية العقد الاجتماعي، نجد هذه النظرية التي تنظر للمجتمع كما لو كان كائن حي، يمرّ بنفس المراحل البيولوجية التي يمر بها الكائن الحي، من مولد و شيخوخة و وفاة، و يشبه في وظائفه إلى حدّ كبير وظائف الكائن البيولوجي، فخلايا المجتمع هي الأفراد، ووظائفه هي مجموعة النظم السائدة فيه، وذهب بعض علماء النفس المنساقين وراء هذا الرأي إلى اعتبار فكرة « العقل الجمعي» حقيقة واقعة كما أخذ كثير من المفكرّين بهذا الرّأي، و يلاحظ هذا في كتاب"Le Declin de l'ouest" لصاحبه Oswald Spengler الذي يعتقد فيه أن كل المجتمعات تمر بمراحل عضوية من المولد إلى الوفاة.

و لقد أخذ بفكرة العقل الجمعي العديد من المفكرين الفرنسيين من أمثال " إسبيناس"، و "جوستاف ليبون" و"إميل دركايم"، ويذكر الدكتور"محمّد مصطفى زيدان"، في كتابه علم النفس الاجتماعي، آراء كل واحد من هؤلاء العلماء، حيث يقول " إسبيناس " « بأنه مثلما للجسم الحي إدراكه ووعيه عن حالاته الذاتية في تقدمه، و ارتقائه، كذلك للمجتمع عقل كلي يدرك الاتجاهات العامة للحياة فيها، وهو كلي لأنّه يتكون من مجموعة العقول الفردّية في المجتمع ولهذا نسميه بالعقل المتعدّد La Conscience Multiple ».(1)

(1)- محمّد مصطفى زيدان، علم النفس الاجتماعي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية : ص 45

وعـــند " دوركـــايم "، (1) فيتمـــثل مفهوم العقل الجمعي في مجموع العرف والتقاليد و الذوق العّام، والرأي العام، وما إلى ذلك من الأمور التي تنتشر بين الناس في مجتمع معين، ويعتبره دوركايم ملزما للنّاس، بمعنى أنّه آمـــر لـــه هيبـــته وجزاؤه إنّ خولف، فهو يضغط عليهم، ويقاومهم، إذا حاولوا الخروج عن حدوده فيقول دوركايم في هذا السياق : « حقا إنّني لا اشعر به حين أستسلم له بمحض اختياري » ويقول عن قواعد السلوك التي يفرضـــها المجـــتمع « إنهـــا تمتاز أيضا بقوة آمرة قاهرة، هي السبب في أنّها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أو لم يرد ».(2)

و يصـــفه بأنّـــه تلقائي، يظهر في المجتمعات من فكرة التجمع نفسها فعـــندما يعيش الناس مع بعضهم البعض، لا بدّ من ظهور سنن اجتماعية تحددّ علاقاتهم، فتظهر العادات و الأعراف و التقاليد إلخ ...

وهـــي مظاهر اجتماعية خالصة لا علاقة لها بالطبيعة الحيوية للأفراد و لا بطبيعـــتهم النفسية، و إنّما هي طبيعة ثالثة جديدة للإنسان مستقلّة تمام الاستقلال عن طبائعه الأخرى، فالعقل الجمعي له وجوده الذاتي، ويولد الأفـــراد، فيجدونه سابقا لوجودهم، و أنّه من صنع أجيال تقدمتهم وله قداســـته الزمنـــية و هيبته الأدبية عندهم، و يشعرون أنّه يعلو عليهم، و أنّه أســـتاذ بالنســـبة لعقلية الفرد لأنّه يمثّل سنن المجتمع، و دستور المعاملات والآداب الـــتي يـــتلقاها الفرد في الحياة الاجتماعية، و مجمل القول أنّه نظام اجتماعي واقعي له عناصره و أوامره و نواهيه.(3)

(1)- محمّد مصطفى زيدان، نفس المـــــرجع السابق ص 54.

(2)- دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، تقديم عبد الرحمن أبو زيدة، موفم للنشر، 1990، ص 41.

(3)محمّد مصطفى زيدان، نفس المرجع السابق ص.55

وقـــد عرض " ابن خلدون " (1332 – 1406 م)، مجموعة من الآراء المماثلـــة في مقدمـــته الشـــهيرة، إذ أنّـــه اهتم كثيرا بعلم الاجتماع الذي اصطلح عليه آنذاك « علم العمران البشري » و قارن من خلال أبحاثه مقارنة علمـــية بين الكائن الاجتماعي، والكائن الحيواني من ناحية البناء، والوظائف والـــتكامل، والـــنمو، والـــتطوّر، كمـــا درس المجـــتمع من حيث سكونه وديناميكيته.

وقـــد لعبـــت فلســـفة ابن خلدون التاريخية و تطبيقها على مسيرة المجـــتمعات البشرية دورا قياديا في فهم و استيعاب طبيعة المراحل التطورية التي تمرّ بها المجتمعات، فالمجتمع البشري لا بدّ له أن يمرّ بطور النشأة و التكوين ثم طـــور النضـــج، و الاكتمال، و أخيرا طور الهرم و الشيخوخة، حيث يقوم عـــلى أنقاضه مجتمع آخر يسير على نفس المراحل. و حسب " ابن خلدون " دائما فالمجتمعات الإنسانية لا تقف، و الموت الاجتماعي، أو فناء النظم، هو نقطة بداية و نهاية (1)، وسيرا على خطى "الفرابي و أرسطو "، فقد أقر "ابن خلـــدون" بـــأنّ الإنســـان مدني بالطّبع و أنّه في سياق تلبية حاجياته يلجأ الأفـــراد لتقســـيم العمل فيما بينهم، و هو ما ينشأ عنه التضامن، و تعتبر الدولـــة مـــن أقوى مـــظاهـــر هذا التضامن الاجتماعي، و أكثرها أهمية في تحديد معالم المجتمع السياسية.

و تعتـــبر آراء " إبن خلدون " و أفكاره الاجتماعية قادرة على تفسير الظواهر و الملابسات التي تواجه الإنسان و المجتمع المعاصر أيضا.

(1)دينكن ميتشل، المصدر السابق، ص 19.

(2) ماكيفر و بيج . نفس المرجع السابق، ص 93.

عوامل تكوين السلوك الاجتماعي عند الفرد :

أ- الذات والشخصية كناتج اجتماعي :

بعد أن قدمنا بعض التعاريف لمفهوم المجتمع و آراء بعض المفكرين حول هذا المفهوم، نحاول فيما يلي استكشاف طبيعة العلاقة التي تربط الفرد بالمجتمع،

و بادئ ذي بدئ تجب الإشارة، إلى أنّ الذات أو الشخصية هما نتاج اجتماعي، فلقد أكدت العديد من الدراسات النفسية الحديثة، بانّ نموّ الإحساس بالنفس أو الإحساس بالذات الإنسانية، لا يظهر إلاّ عند الفرد الذي يعيش داخل الجماعة، فالطبيعة الإنسانية، أو الذات، تتضمنّ وعي الفرد بنفسه، أي بقدرته على التميز بين جسمه، وأجسام الآخرين وبين ماله من صفات، وما للآخرين (1)، فالذّات ظاهرة متطورّة، وليست شيئا جاهزا فطريا كاملا عند الفرد، و إنّما هي صفات متكاملة تنمو من الخبرة الاجتماعية، و النشاط الاجتماعي، الذي يتضمن علاقة الفرد بالأفراد الآخرين وهما يتشكلان نتيجة تفاعل الفرد في البيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل، ألا و هي الأسرة.(2)

ولقد أثبتت صدق ذلك بعض الحالات التي حدثت صدفة، نذكر منها، حالة تخصّ طفلتين من الهنود استكشفتا سنة 1920 في جحر ذئب، وكان عمر إحداهما في ذلك الوقت الثامنة، وعمر الأخرى السادسة، وقد

(1)- Richard DF.Behrendt. l'homme a la lumière de la sociologie. Paris payot. 1964 , page 25.

(2)- محمّد مصطفى زيدان، نفس المرجع السابق، ص 105.

ماتـــت الصغيرة بعد استكشافها ببضعة شهور، والكبرى و تدعى « كاملا » لم يكـــن في أحوالهـــا مـــا ينبّئ بأنّها مختفظة بمظاهر السلوك الإنساني، فقد كانت تمشي على أربع، و لم تكن تتحدث بأيّة لغة، فيما عدا عواء يشبه عواء الذئـــب و بعـــد جهد و عطف بالغ عليها في التدريب، استطاعت أن تتعلّم بعـــض العادات الاجتماعية الأولية، فهذه الطفلة الذئب، التي كان ينقصها الإحســـاس بالنّفس، بدأ يظهر عندها بالتدريج ولكن ظهور نفسيتها وفرديتها كان يتوقف على كونها أصبحت بعد العثور عليها عضوا في المجتمع الإنساني.

وهناك حـــــالة « أنـــــــا»، وهي طفلة أمريكية غير شرعية، وضعت في حجرة لّما كان سنّها ستة أشهر، حيث عزلت فيها، حتى اكتشفت بعد ذلك بخمس سنوات، وذلك في سنة 1938، وطوال مدّة حبسها كان غذاءها يقتصر على الحليب وبعض الأطعمة القليلة الأخرى.

هذا الانعزال الاجتماعي في أقصى صوره، ترك الطفلة، وليس لديها إلاّ القليل من الصفات التي تكون عند الطفل الطبيعي البالغ من العمر خمس سنوات و عندما استكشفت « أنـــــّا » لم تكن تقدر على المشي و الكلام، و كانت مجرّدة تماما من العواطف و غير مكترثة بالناس الذين كانوا حولها.(1)

وإضافة لهذه الحالات العفويّة، قام " فردريك دي بروس"« Frederic II de Prusse »، في القرن 18 بتجربة على الأطفال الرضّع في أحد الملاجئ،

(1)- ماكيفر و بيج نفس المرجع السابق ، ص 96.

كان الهدف منها، إكتشاف اللغة البدائية والفطرية لدى الإنسان، وكانت وسيلته في ذلك، منع المربيات بملامسة الأطفال والحديث معهم أثناء العناية بهم، منتظرا إكتشـــاف اللغـــة الطبيعية للإنسان ، إن كانت لاتينية، أو إغريقية أو عبرية عند بدايـــة النطق الأطفال، و لكن كانت النتيجة أن مات جميع الأطفال نظرا لعزلهم العاطفي و اللّغوي.(1)

وهذه تجربة أخرى توضح أهمية المجتمع بالنسبة لنشأة الإنسان الطبيعيّة.

ب- توقف حياة الإنسان على الميراث الاجتماعي :

إنّ الفرد هو نتاج لعلاقة اجتماعية أدت إليها آداب عامة مفرزة من قـــبل مولـــده، و فوق ذلك فكل شخص، سواء كان رجلا أم امرأة هو في الحقـــيقة طرف في علاقة، وليس الفرد في ذاته بداية أو نهاية، و إنّما هو حلقة في تـــتابع الحـــياة، و هذه حقيقة سسيولوجية و بيولوجية على حـــدّ سواء، والمجـــتمع شـــيء أكثر من بيئة ضرورية، و أكثر من التربة التي نتلقى فيها تربيتنا، وعلاقتـــنا بالميراث الاجتماعي أقوى و أشدّ من علاقة البذرة بالأرض التي تنمو فـــيها لقـــد ولدنا في مجتمع حددّت عملياته الإطرادية ميراثنا، و يصبح في الوقت المناسب بعض ما أخذناه من المجتمع عدتنّا العقلية الداخلية.

وإدراكـــنا لهذه العلاقة المتبادلة الأساسية والديناميكية بين الفرد والتراث الاجـــتماعي يجعلـــنا نقـــدرّ صحّة عبارة أرسطو المشهورة«إنّ الإنسان حيوان اجتماعي»، والمقصود من ذلك، أنـــهّ بدون مجتمع وبدون ميراث اجتماعي، لا يمكن لشخصية الفرد أن تستبين.(2)

(1) -Firtzhugh Dodson, tout se joue avant six ans, traduit de l'anglais par y vons Geffray, Paris , 1972 Collection marabout. P38.

(2)- ماكيفر و بيج نفس المرجع السابق ص 98 – 99.

فالإنسان يولد في المجتمع و الحاجة إلى المجتمع تولد فيه، وللمجتمع تأثير كبير على سلوك الأفراد، فالفرد يأتي إلى المجتمع مزودا بقدرات واستعدادات فطرية تدفعه إلى النمو والسلوك، والمجتمع هو الذي يصبغ هذا السلوك بالصبغة الاجتماعية، ويقول " تروتر Trotter " (1) « إنّ الطابع النفسي الجماعي يتجلّى واضحا في مسلك الإنسان، سواء كان في الجموع أو في غيرها من أحوال التجمع الفعلي، أو في مسلكه كفرد مهما بلغت درجة عزلته ».

وفي نفس هذا السيّاق، يقول " كيرت ليفين " عالم النفس الاجتماعي، « إنّ الجماعة هي الأرض التي نقف عليها »، و معنى ذلك أنّ طبيعة الإنسان الاجتماعية، تجعله في احتياج إلى جماعة ينتمي إليها ويحظى فيها بالقبول، ويقوم بدور وظيفي، ويتآلف سلوكه مع سلوكها بسهولة، ويعتبر " ليفين "، وغيره من الباحثين في علم النفس الاجتماعي، أنّ الأشخاص الذين يفتقرون إلى مثل هذا الشعور، هم في الواقع يفتقرون إلى الإحساس بالأمن، والطمأنينة.(2)

وفي الأمثال المتداولة لدينا سواء من الفصحى أو العامية، كثير من الصوّر التي توحي بشعور الفرد بالأمان داخل الجماعة، فقيل : كدر الجماعة خير من صفو الفرقة.

(1)- نقلا عن محمّد مصطفى زيدان، نفس المرجع السابق ص.11

(2)- جين د- جراميز، تفهّم العلاقات بين الجماعات، ترجمة : عدلي سليمان، دار القلم، أكتوبر، 1964 ، الصفحة 30-29.

كمـــا قيل أيضا: إذا عمت المصيبة خفتّ، و معنى ذلك أن حدّة المشاكل تهـــون إذا اقتسمتها الجماعة و يقابله في العامية " الموت في عشرة نزاهة "، بمعنى أن الفـــرد داخـــل الجماعة أقدر على مواجهة الموت، من كونه وحيدا وحتى في الأدبـــيات الإســـلامية نجـــد لهذا المعنى الكثير من الإشارات، و يقول الحديث الشريف : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ».

ويقوم المجتمع على مجموعة من الأسس أهمها، وحدة الجماعة وتظافر جهـــود كـــل فـــرد مـــن الأفراد، والتنظيم، وكذلك وحدة اللغة، والثقافة والتقالـــيد، والعـــادات، والأعراف السائدة فيه، وهو ما يجعل الفرد يرتبط بجماعته ويتبنّى مستوياتها وسلوكاتها و يدافع عنها.

يتمثل هدف الضبط الاجتماعي في النظام الذي يحظى بالقبول أو الموافقة من جانب المجتمع، وفي إنتظام التفاعلات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وجماعاته، بشكل يحفظ استقراره، وتماسكه، وإستمراره، كما يهدف إلى تدعيم القيم الاجتماعية، وعدم الانحراف عن معايير المجتمع، ومواصفاته، وسننه الاجتماعية.

ويســـتخدم مصـــطلح الضـــبط الاجتماعي للإشارة إلى أن سلوك الفرد وتصرفاته محددّة بالجماعات التي ينتمي إليها، و بالمجتمع الكبير الذي يعتبر عضوا فيه، أما الوسائل التي تكفل إمتثال الأفراد لقواعد الضبط فهي ميكانيزمات ذات طبـــيعة إجتماعية، و قد إختلف علماء الإجتماع في تحديد الوسائل التي يتبعها المجـــتمع لتنمـــيط ســـلوك أفراده و جماعاته و تعميم هذا التنميط داخل المجتمع بأكمله، فقال " إدواروس " Edwar Ross أنها أربع عشرة وسيلة هي : (1)

(1)- أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الإجتماع مكتبة النهضة، الشرق جامعة القاهرة، الصفحة 108.

1- الرأي العام	2- القانون
3- الاعتقاد	4- الإيحاء الاجتماعي
5- التربيّة	6- العرف
7- الدين	8- المثل العليا
9- الشعائر	10- الفن
11- الأدب	12- التثقيف
13- التوهمّ	14- القيم الاجتماعية

وكان قد ذكر ما كيفر و بيج ثلاثة أنواع من الضغط على الفرد، للمحافظة على النظام ووحدته داخل المجتمع، وهي :

- أوّلا : ضغط الزمرّ المسيطرة.
- ثانيا : ضغط السلطة.
- ثالثا : ضغط النظمّ السائدة.

وهو مصدر ثالث للقيود الإجتماعية، ينشأ عن السيطرة غير الشخصية التي تمارسها النظّم السائدة في المجتمع، إن التركيب الإجتماعي كما نعرف يرتكز على تراث اجتماعي، تكونت عناصره خلال أجيال كثيرة، و تعتبر النظم السائدة حصيلة منه عن صفات أفراد لا يعدون و لا يحصون خلقوا هذا التراث ومن هذه الصفات ما يتصل بتحيزهم، وخرافاتهم، بل و ذكائهم أيضا، و لأن بناءه يعاد بإستمرار وفق مستويات كل عصر فإن عمليات البناء لن تتم أبدا.

ويقـــول ماكـــيفر وبـــيج دائمـــا، بـــأن العديد من المفاهيم الأخلاقية كالعـــرف، والآداب العامة، خصوصا ما يتعلق منها بالمحظورات تستمد سلطتها مـــن مجـــرد قدمهـــا، و هي عرضة لأن تنمو في ظل من القداسة يساعدها على الصمود أمام كل تغيير.(1)

ويـــبقى هـــذا الـــثرات الإنساني المكون أساسا من العادات والمعتقدات والأعـــراف ومختـــلف أشـــكال السلوكات الإجتماعية للفرد المحتوى الأساسي للثقافة.

الثقافـــــة:

الـــثقافة بـــالمعنى العام، هي ما يتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحـــسّ انـــتقادي، وحكم صحيح، أو هي التربية التي أدت إلى اكتسابه هذه الصفات قال:"روستان D . Roustan " في كتابه « La culture au cours de la Vie » :العلم شرط ضروري في الثقافة، ولكنه ليس شرطا كافيا، إنما يطلق لفظ الثقافة على المزايا العقلية التي أكسبنا إياها العلم، حتى جعل أحكامنا صادقة، وعواطفنا مهذبة.(2)

وقد اختار العرب " الثقافة " لفظا للتعبير عن الحكمة، فالثقافة لفظ مشتق من كلمة " الثقاف" و"الثقاف" هي الأداة التي يسوي بها الرمح، فيقال أن الرمح أصـــبح مثقفا، و ثقف الشيء أقام المعوج منه و سواه، و الإنسان أدبه، وهدبه وعلمّه.(3)

(1)- ماكيفر و بيج، المرجع السابق الصفحة 399.

(2)- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بيروت : دار الكتاب اللبناني، القاهرة : و دار الكتاب المصري، الصفحة 379.

(3)- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، 1956، الصفحة 19- 20 المجلّد التاسع.

وفـــي كلامـــنا الجاري، فالمثقف المتحضر، هو الشخص المتمكن، من بعـــض مجـــالات الفكر، والفن، والمعرفة، والموسيقى، والأدب، وهو الشخص المتمـــيّز بـــآداب ســـلوك راقّـــية، وهذا التعريف لا دلالة له من وجهة النظر الأنثروبولوجية والسسيولوجية، حيث يقصد بالثقافة طريقة حياة الناس وكل مـــا يملكونـــه ويـــتداولونه اجتماعيا، لا بيولوجيا، كما يقول الدكتور فريد جبرائيل النجّار في مؤلفّه قاموس التربية و علم النفس التربوي.(1)

فهي بالتالي طرائق العيش لدى شعب معيّن وبالنسبة للأنثروبولوجيين فمجرّد كون الشخص " إنســانـــا " فهو مثقف (2) ولقد بدأ الاهتمام بمفهوم الـــثقافة، مع نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين باعتبارها المادّة والموضوع الذين تضطلع بدراستهما الأنثربولوجيا وعن المكانة التي وصل إليها هذا المفهوم حوالي سنة 1930 ، كتب فريق تحرير موسوعة العلوم الاجتماعية في مجلدّها الأول يقول:

" إن الـــنظرية الأساسية التي احتلت مكان الصدارة في العلوم الاجتماعية في العقود الأولى من القرن العشرين، هي نظرية الثقافة، بحيث يمكن أن نقول أن هـــذا القـــرن قد شهد في نصفه الأولى تمجيد الثقافة، فقد بدا هذا المفهوم أكثر المفاهيم أهمية في كـــتابات عـــلمـــاء الاجـــتماع فـــي ذلك الوقت، وخاصة

(1)- نقلا عن جميل صليبا، المرجع السابق، و نفس الصفحة.

(2)- محمد السويدي ، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، الطبعة 1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب تونس: الدار التونسية للنشر، سنة 1991، الصفحة 40.

الأنثربولوجيين وبدأ هؤلاء يتحدثون عن قطاعات، وتفرعات لمفهوم الثقافة، مما يدل على ثراء هذا المفهوم، فظهر الاهتمام بمصطلحات السمات الثقافية، والمناطق الثقافية، و المراكز الثقافية، والأنماط الثقافية، والنماذج الثقافية، والهجرات الثقافية، و الالتقاء الثقافي، والانتشار الثقافي إلخ ..."(1)، و لقد اختلف العديد من المفكرين في إعطاء تعاريف دقيقة للمفهوم، حيث يمكننا حصر أكثر من مائة تعريف لمصطلح الثقافة، وذلك على اختلاف اهتماماتهم، وتخصصاتهم من انثربولوجيين وإثنولوجيين، وعلماء النفس، و علماء الطب العقلي، والاقتصاد والسياسة وغيرهم .

تعاريف الثقافة و مفهومها :

يقول الدكتور " عاطف وصفي" (2)، بأن علماء الأنثربولوجيا يتفقّون على كون الثقافة هي موضوع علمهم و لكنهم يختلفون في تعريفها، حيث يعرفها البعض بأنها السلوك المكتسب، و عند البعض الآخر فهي تجريدات مأخوذة من السلوك، فبينما يعتبر البعض الأشياء المادية مثل الأدوات والآلات والملابس والمنازل، داخلة في نطاق الثقافة ، يرفض ذلك البعض الآخر ويقرّون بأن الثقافة تقتصر على الأفكار وأنماط السلوك .

ويرفض البعض الثالث ذلك التعريف من أساسه ويقرّون أن الثقافة ليست الأفكار وإنما الأشياء والأفعال الخارجة التي يمكن ملاحظتها حسيّا، وتجدر الإشارة إلى أنه منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كان هناك

(1) – سامية حسن الساعاتي، الثقافة و الشخصية ، بيروت : دار النهضة العربية للطباعة و النشر 1983، ص31،30.

(2) – عاطف وصفي ، الأنثربولوجيا الثقافية ، بيروت : دار النهضة العربية للطباعة و النشر، سنة 1971، ص 65.

إجماع على الأخذ برأي تايلور الذي عرف الثقافة سنة 1871 في كتابه " الثقافة البدائـــية " بأنها ذلك الكل المركب، الذي يشمل على المعرفة، والعقائد، والفن والأخـــلاق، والقـــانون، والعادات، وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع (1) مع أن "تايلور" نفسه أكد في موضع آخر من نفس الكـــتاب، أن الثقافة تشمل على الأدوات، مثل الفأس، والقوس والرمح وعلى الفنون العملية مثل صيد السمك، و إشعال النار، و غيرها.

و لم تظهـــر التعاريف المناقضة لهذا الرأي إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، ولعّل أبرز هذه الاختلافات كانت تلك التي جاء بها كل من " كروبر و كلاكهون " في كتابهما " الثقافة : نظرة نقدية للمفهوم وتعريفه " وذلك سنة 1952 ،

و قد خلصا هذان المفكران إلى " أن الثقافة تجريد ".

وحذا حذوهما كل من "بيلز Beals" و " هويجر Hoijer" في كتابهما مدخـــل للأنثربولوجيا سنة بعد ذلك أي في 1953 حيث ذكرا بأن الثقافة هي " تجـــريد مـــأخوذ من السلوك الإنساني الملاحظ حسيّا و لكنّها ليست هي ذلك الســـلوك و كما يقولان: " لا يستطيع الأنثربولوجي أن يلاحظ الثقافة مباشرة " وفي هـــذا السياق يذكر كروبر بأنه يمكننا أن نرى الأشياء مباشرة والأشخاص وتفاعلاتهم، ولكن لا يمكن لأحد أن يرى الثقافة .

(1) – سامية حسن الساعاتي ، المرجع السابق ، ص 35.

ويوافـــق هذا الرأي أيضا راد كليف بروان زعيم البنائية إذ يقول في كتابه البنية الاجتماعية سنة 1940 "لا تعبّر الثقافة عن أي شيء واقعي محسوس وإنما عـــن تجريد، وغالبا ما يستخدم كتجريد غامض " (1) و هذا كون المفكر يحبّذ التعـــبير عن الثقافة بمصطلح البناء الاجتماعي، و سوف نتطرق لبعض المفاهيم التحليلـــية للـــثقافة، التي حاول أصحابها استعراض تعريف المصطلح، مميزاته ومحتوياته أيضا.

1- مفهوم الثقافة عند كلوكهون :

لعـــل مفهـــوم الثقافة الذي وصفه كلايد كلوكهون يساعدنا على فهم الســـلوك البشري، حيث يقول (2) : "... نقصد بالثقافة جميع مخططات الحياة الـــتي تكونـــت على مدى التاريخ ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة والعقلـــية واللاعقلـــية وهي توجد في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة."

ويقـــول في موضع آخر بأن " الثقافة " هي ذلك الجزء من السلوك الذي يـــتعلّمه أفراد المجموعة الثقافية و يشتركون فيه، فهي ميراثنا الاجتماعي في مقابل وراثتنا العضوية، إنها أحد العوامل الهامة التي تسمح لنا أن نعيش سوية مع أفراد آخرين ضمن مجتمع منظم، و هي التي تقدم لنا الحلول الجاهزة لمعضلاتنا، وتعيننا عـــلى التنـــبوّء بسلوك الآخرين، كما تمكن الآخرين من أن يعرفوا ما ينتظر منا فعله.

(1) -عاطف وصفي ، المرجع السابق ، ص 67.66 .

(2)- محمد السويدي ، المرجع السابق ، ص 48 .

" إن الثقافة تنظم كل زوايا حياتنا، فنحن نقع في اللحظة التي نولد فيها وحتى الممـــات، علمنا بذلك أم لم نعلم، تحت ضغط مستمر يدفعنا لإتباع أنماط معينة من السلوك سبق لأفراد آخرين أن خلفوها لنا، فنتبّع بعض تلك الأنماط راغبين، ونتبّع أنماط أخرى لأننا لا نعرف لها بديلا، في حين نخرج على بعضها الثالث أو لا نطبقها إلا مكرهين".(1)

و للمهتمّ بمفهوم الثقافة يتضح أن هناك اتجاهين أكاديميين في تعريفها :

- **الأول** : واقعـــي، يـــرى أن الـــثقافة هـــي أشكال السلوك المكتسبة والسائدة في مجتمع ما.

- **الثانـــي** : تجريدي، يرى أن الثقافة هي الأفكار التي يستخلصها العالم الأنثربولوجي من السلوكات السائدة داخل المجتمعات.

ويقـــول عـــاطف وصـــفي بأن ظهور هذين الاتجاهين هما اللذان جعلا "هوايت" ينتهي إلى نظرية جديدة في تعريف الثقافة.

2- مفهوم الثقافة عند هوايت :

تتـــلخص نظريـــته الرمزية، في أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي لديه القـــدرة على إعطاء معاني للأشياء و للأفعال التي يلاحظها وكذلك القدرة على فهـــم تلك المعاني، ويسمي تلك القدرة عملية " إضفاء الرموز"، ويرى أن اللغة الكلامية أصح وأدق مثال على تلك العملية.

(1)-نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

أما الأشياء و الأفعال التي يضفي عليها الإنسان معاني محددة فيطلق عليها "هوايت" الأفكار و العقائد و الاتجاهات و العواطف و الأفعال و صور التفاعل والعـــادات والقوانـــين والـــنظم والأعمال والأشكال الفنية واللغات والأدوات والآلات، وجميع الأشياء التي يخترعها الإنسان.(1)

ويعـــرفّ الثقافة بأنها تنظيم خاص من الرموز(2).مبرزا أن هذا التنظيم يقتضر في عملية إنتشاره وتعلمه على الإنسان فقط دون سائر المخلوقات.

3- مفهوم الثقافة عند ألفريد ويبر:

حسب " ألفريد ويبر "، فتقوم الثقافة بدراسة الأشكال الروحية للإنسان ومـــا يتضمنه من قيم ومقاييس، وعادات، وأفكار، وانطباعات، لا يمكن القول عـــنها بأنها صحيحة أو غير صحيحة، وذلك لمرونتها، ونسبيتها، واختلافها من مجتمع لآخر، ومن فرد لآخر، ومن فترة زمنية لأخرى.(3)

وقـــد قـــام بـــتعريف الثقافة حين حدد المفاهيم الثلاثة الحضارة، المجتمع والثقافة، فأعتبر الحضارة شيء يقوم على العقل وتقوم بدراستها العلوم الوضعية وهي تنتشر من مجتمع لآخر وقد تتشابه في كثير من المجتمعات.

وعرف المجتمع على أنه الجسم الاجتماعي في مجموعه، و هو يمرّ في تطوره بسلســـلة مـــن أنواع البناء الاجتماعي، ليس فيها استمرار، أو رابطة، وعرّف الـــثقافة بأنهـــا أشكال روحية، تقوم على العواطف النفسية، مثل الدين، و هي بخـــلاف الحضارة غير قابلة للانتشار، فلكل شعب ثقافته الأصلية، والخاصة به، واعتبر الثقافة هي المجموعة الحية في البنية الاجتماعية.

(1) - عاطف وصفي، المرجع السابق الصفحات 69 إلى 75، بتصرّف.

(2) -سامية حسن الساعاتي، المرجع السابق، الصفحة 51 .

(3) - د.بنكن ميتشيل، المصدر السابق الصفحة 253.

وقد قسم (أ.فيبر) الثقافة إلى ثلاثة أقسام :

1- الـــثقافة الاستقرائية الناجمة عن الاختبار، و تشمل المواضيع المادية كالآلات، والأنماط غير المادية المتمثلة في المعرفة.

2- الثقافة الجمالية، كالتصوير الإبداعي الذي يمثل نفعا و لذة و متعة أيضا.

3-أنماط السيطرة التي تهيمن على سلوك الإنسان، كالآداب الاجتماعية و السنن الشعبية و الأيديولوجيا (1).

وحسب هذا التعريف تبدو الثقافة وكأنها تشمل مختلف مظاهر الحياة داخل المجتمع.

4- مفهوم الثقافة عند ميريل:

يعتـــبر مفهـــوم الـــثقافة عند "ميريـــل" أقرب المفاهيم السسيولوجية للمصـــطلح، ففـــي كتابه (المجتمع و الثقافة)، يرى ميريـــل بأن المجتمع يأتي في المرتبة الأولى، ثم تأتي الثقافة في المرتبة الثانيّة، ويعرّفها على أساس "تعلم السلوك السائد في المجتمع"، والإنسان بالنسبة له حيوان ثقافي.

وقد حدد هذا المفهوم وفق مجموعة من الأسس و هي :

1- أن الثقافة نتاج إنساني ينشأ عن التفاعل الاجتماعي.

2-الـــثقافة تقـــدم الأنمـــاط الاجتماعية المقبولة و التي تقابل احتياجات الإنسان البيولوجية و الاجتماعية.

(1)- نقلا عن محمد السويدي، نفس المرجع السابق ص 53.

(2)- نفس المرجع السابق ص 65.

3- الثقافة متراكمة لأنها تنتقل من جيل إلى جيل .

4- يكتسب الفرد الثقافة من خلال فترة نموه في مجتمعه الخاص.

5- الثقافة تحدد شخصية الفرد بصورة أساسية.(2)

ويوافـــق "ميريل" آراء "هوايت" حول إقتصار الثقافة على الإنسان دون ســـائر المخلوقات، وذلك أن الإنسان وحده هو القادر على التجمع في جماعات تلقن وتفرض السلوكات السائدة فيها على الأفراد المنتمين إليها.

5- مفهوم الثقافة عند إليوت:

أشـــار عـــالم الاجـــتماع البريطاني " إليوت " إلى أن ثقافة المجتمع هي الأساســـية وهي التي يجب البحث فيها أولا، ذلك أن ثقافة الفرد، تتوقف على ثقافـــة الجماعـــة التي ينتمي إليها ويعرفها بأنها طريقة حياة شعب معين، يعيش أفراده معا في مكان واحد وهذه الثقافة تظهر في فنونهم وفي نظامهم الاجتماعي وفي عـــاداتهم وأعـــرافهم ودينهم،(1) والحقيقة أن هذه الجوانب كلها أجـــزاء تشكل محتوى الثقافـــة.

ويظهـــر من خلال هذا التعريف أن الفرد، الثقافة والمجتمع، عناصر ثلاثة متلازمة في وجودها بشكل حتمي.

6- مفهوم الثقافة عند ريموند فيرث:

يقـــول "إذا نظرنا إلى المجتمع على أنّه مجموعة من أفراد، فإنّ الثقافة هي طريقتهم في الحياة، وإذا إعتبرناه مجموعة العلاقات الإجتماعية فإنّ الثقافة هي

(1) - نقلا عن محمد السويدي ، نفس المرجع السابق الصفحة 66

المظاهـــر التراكمـــية الماديـــة واللاماديـــة الـــتي يـــتوارثها الـــنّاس ويتـــناقلونها، ويســـتخدمونها، و للـــثقافة محتوى فكري ينظّم سلوك الإنسان والـــثقافة مـــن وجهة النظر السلوكية سلوك مكتسب و متعلّم، و هي علاوة على ذلك تعتبر حافزا للأعمال و الأفعال.(1)

7- مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي:

يـــرى الفيلســـوف الاجتماعي الجزائري " مالك بن نبي " أن الثقافة لا تضم في مفهومها الأفكار فحسب و إنما تضم أسلوب الحياة في مجتمع معين، وتخص الســـلوك الاجتماعي ذاته (2)، كما يرى أن ثقافة أي مجتمع من المجتمعات هي انعكاس للواقع الموضوعي لذلك المجتمع بكل ما فيه من ماديات و معنويات وقد عرف الثقافة في كتابه " مشكلة الثقافة" بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعـــية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته لتصبح لا شعوريا، تلك العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة السائد في الوسط الذي ولد فيه.

فهي عل هـــذا، المحيط الذي يشكل فيه، الفرد طباعه وشخصيتـــه.(3)

إن كل هذه التعاريف المقدمة، باختلاف أصحابها وإتجاهاتهم الفكرية، إلا أنهـــا تصـــبّ في مغزى واحد، وهو أنّ الجماعات أساسها الأفراد، والثقافة هي أســـلوب عيشـــهم السائد، ورغم إختلاف هؤلاء المفكرين في إعطاء الأولوية لعنصـــر من بين هذه العناصر الثلاثة، إلاّ أنّ مفاهيم جاءت كلّها متشابهة وتحمل نفس المضمون.

(1)- أحمد رأفت عبد الجوّاد، المرجع السابق، الصفحة 82

(2) - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، القاهرة مطبعة دار الجهاد، 1959 الصفحة 1 والصفحة 3.

(3)- نفس المرجع السابق الصفحـــة 73.

وحـــتى نســـتوفي الثقافة شرح مفهومها كاملا، يجدر بنا التطرق لبعض الـــنظريات الـــتي تفسر وتحلل مفهوم للثقافة، وأسس نشأتها، وسوف نتطرق لأربعـــة مـــنها كمـــا جـــاء ذكرها في كتاب "سامية حسن الساعاتي" الثقافة والشخصـــية، وهي: نظرية " سمنـــــر"، " مالينفسكي"، " لنتن" و نظرية " ابن خلدون ".

أ- نظرية وليام غراهام سمنـــــر للثقافـــــة

سمنر الذي كانت شخصيته مؤثرّة في علم الاجتماع الأمريكي لفترات طويلـــة كـــان دائما يؤكد على فكرة التكيف، والتوافق، و في تعريفه لمفهوم الأساليب أو الطرق الشعبية " Folkways "، الذي يقترب في معناه كثيرا من مفهوم الثقافة يقول (1) : «إنّها الأساليب الشعبية للأفراد وعادات المجتمع التي تنـــبع مـــن مجهـــودات الناس لإشباع حاجاتهم، وهي تغلف بالاعتقاد في الجنّ والشـــياطين و الأفكـــار البدائية عن الحظ، ولذلك فهي تكتسب سلطة تقاليدية وتصـــبح بعد ذلك قوة اجتماعية، ولا أحد يعرف كيف نشأت، ولا متى، وهي تنمو إلى وقت غير محدود بفضل الجهود الهادفة للناس».

وفي وقـــت معـــين تفقد قوتّها فتضمحّل، أو تموت، أو تتحول، وحينما تكون في قوتها، فإنها تمارس ضبطا على الأفراد، لكنها ليست عضوية ولا مادية، إنّهـــا تنتســـب إلى نسق فوق عضوي من العلاقات، والاعتقادات، والترتيبات النظمية.

(1)-د.سامية حسن الساعاتي، المرجع السابق ص 67.

ويرجع "سمنر" النشأة الأولى للطرق الشعبية، أو العادات الاجتماعية، إلى الحاجات الضرورية الحيوية التي تتطلّب الإرضاء والإشباع، ويمكننا أن نلخصّ آراءه في هذه الناحية في أنّه لكي يتم إرضاء الحاجات الضرورية، لا بّد من قيام النّاس أفراد وجماعات بأفعال أو طرق أو أساليب مختلفة من النشاط تغلب عليها المحاولة والعشوائية وهي تتكرّر مرارا زمنيا، ومكانيا حتى تستقر أراء، وسلوكات الأفراد على الطرّق الصائبة، فيستبعدوا الأساليب الفاشلة، التي لا توفّر لهم الراحّة النفسية والمادية.

فالثقافة التي هي أساسا الطرق الشعبية، بكل محتوياتها من عرف، وتقاليد وآداب السلوك العامّة، تستمد أصولها و وجودها من التجربة الاجتماعية للنّاس، من تفاعلهم و تعاملهم بعضهم مع بعض في حياتهم الاجتماعية المشتركة لتلبية حاجاتهم النفسية، والاجتماعية فتكّون الطرق الشعبية وتنشأ بطريقة لاشعورية - و بمرور الزمن ترسخ وتبدو أصيلة، وثابتة على الرغمّ من أنّ أحد لم يقصد حدوثها، ويتعمدّ تكوينها أو يخططّ لها أو يعرف عنها مقدمّا (1) على حدّ تعبير " سمنر ".

فالحاجات الإنسانية هي التي تخلق الدوافع لدى الفرد، وهذه الدوافع تولدّ السلوكات، والسلوكات المنتهجة تكرسّ، وتعززّ تلك الأكثر ملائمة من غيرها، لترسّخ اجتماعيا وتكون مع مرّ الزمن ما يعرف بالثقافة.

(1) - المرجع السابق الصفحة 68.

ب- نظرية مالينفسكي

وقـد وافق " مالينفسكي"، " سمنر" في فكرة كون الثقافة قائمة على الحاجـات الإنسـانية و طـرق تلبيـتها التي تكون سلوك الفرد داخل الجماعة، غير أنّه أبرز الجانب الوظيفي، ويتمحور رأي مالينفسكي حول الأسـاليب والسـلوكات المعيـنّة التي تتكوّن من خلال سعي الأفراد لتلبية حاجاتهم، وهذه الأساليب والسلوكات، هي محتوى الثقافة والتي تفرض على الفـرد والمجـتمع نوعا من الجبرية والإلزام، ويصف مالينفسكي هذه العلاقة بالوظيفـيّة، فالوظيفة إذن لا يمكن أن تعرّف بأي طريقة غير إشباع الحاجة بنشاط الأفراد الذي يأخذ شكل التنظيم الإنساني، ويسمّى مالينفسكي وحدة التنظـيم الإنسـاني بالنظام الاجتماعي، الذي يتضمنّ مجموع القيم والأعراف والعادات والتقاليد.(1)

ويعـبر ماليفسكي من روّاد المدرسة الوظيفية، الذي أعطت دفعا آخر في عملية تفسير قيام المجتمعات، والثقافة.

ج- نـظرية رالف لنتن

وقـد ركزّ "رالف لنتن" على الفرد كدعامة رئيسية تقوم عليها الثقافة وأكدّ على وثاقة العلاقة الوظيفية التي تربط الفرد بالثقافة والمجتمع وكغيره " سمنر و مالينفسـكي" اعتـبر أنّ حاجـات الفرد هي دوافع سلوكه وهذه الحاجات صنفّها إلى نوعين :

(1)- BRANISLAW, MALINOWSKI, une théorie scientifique de la culture et autres essais, Paris, François Maspero, 1968, Collection : les textes à l'appui. Pages : 26.27, 28.29. Version numérique, Internet.

- الحاجة للاستجابة العاطفية.
- الحاجـــة إلى الأمـــن.
- الحاجة إلى الخبرة الجديدة.

وركزّ كثيرا على الحاجة للاستجابة العاطفية باعتبارها اللّبنة الأساسية في صـــرح المجتمع، لأنها تزودّ الفرد بالمثيرات الأساسية للسلّوك الاجتماعي المقبول ولهـــذا فإنّ النّاس يخضعون لتقاليد مجتمعاتهم، وعاداتها، ويعملون بما يمليه عليهم العرف، لرغبتهم في استجلاب رضى الغير والانتماء إليهم.(1)

يظهـــر الـــناس خلال هذه النظريات الثلاثة، اتفاق المفكرين على كون الحاجـــات الإنســـانية هي أساس وجوهر قيام الثقافة في المجتمعات، مع أن كل واحد منهم ركزّ على عنصر معين من العناصر المؤثرة في نشأتها.

د- نـــظرية ابن خلدون

وكـــان "ابن خلدون" قد أشار في مقدمته إلى نفس هذه الآراء وباعتباره أوّل مؤســـسّ لعلم الاجتماع كما سبق وأن أشرنا، فقد أوضح كيف أنّ دوافع الإنســـان الفطرية هي أساس الظواهر الاجتماعية وأساس الثقافة بمعناها الشامل كما قام بتحليل النشاط الاجتماعي وما ينطوي عليه كتقسيم العمل والتعاون.

والملاحـــظ مـــن خلال هذه النظريات الأربع بأنّ الثقافة التي هي مدونة الآداب العامـــة والســـلوكات الإجتماعـــية، التي تميّز الفرد عن سائر الكائنات الأخرى ما هي إلاّ الأشكال التي تأخذها إستجابات الأفراد لحاجاتهم البيولوجية والنفسية والتي تنتظم في جملة من العناصر المتماسكة والمتكاملة.

(1)- د، سامية حسن الساعاتي المرجع السابق، ص 60.

ويوضح لنا الجدول التالي، أهم الحاجات الإنسانية، والاستجابات الثقافية التي تقابلها.(1)

الحاجات الإنسانية	استجابات الثقافة
♦ (أ). الحاجات الأولية 1.الطعام 2.لعمليات الفسيولوجية، كالتنفس والإخراج، والحاجة إلى الراحة . 3.لدفاع عن النفس 4.لوقاية من ويلات الجو و المناخ مثل شدة الحرارة أو البرودة. 5.الجنس 6.التناسل 7.الصحة	1.نظام التغذية 2. النوم و التهوية 3.الأسلحة و الرماح و الدروع و الحراب 4.السراديب– الأكواخ الخيام المنازل–الأزياء – الملابس. 5.التعبير الإجتماعي – ضبط السلوك الجنسي 6.نظام الأسرة – نسق القرابة – الحمل – تربية الأطفال. 7.العلاج – الشفاء– الأدوية–عمليات السحر في المجتمع البدائي العلاج – الشفاء– الأدوية.
♦ (ب).الحاجات المشتقة 1.إنتقال الثقافة 2.الإتصال 3.القدرة على العمل اليدوي 4.تنظيم النشاطات الجماعية 5.الضبط الإجتماعي	1.التربية 2.اللغة 3.الثقافة المادية في النسق الإقتصادي 4.القيادة 5.جزاءات القانون و العادات.
♦ (ج).الحاجات المتممة أو المكملة 1.الشعور بالثقة و الوحدة الجمعية 2.النزوع– اللعب–تقدير الفن–تذوق الجمال.	1.نسق القيم الروحية و المعايير الدينية والسحرية. 2.النشاط الترويحي الخاص بالتذوق الفني والجمالي.

(1)– دكتور قباريّ محمّد إسماعيل، الأنثربولوجيا العامّة، صور من قضايا الإنسان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعيّة، 1985، الصفحة 463.

خصائص الثقافة :

من أهم الخصائص المميزة للثقافة (1) ما يلي :

1-تميز و استقلال الثقافة :

أي تميزها عن الأفراد الذين يحملونها و يمارسونها في حياتهم اليومية والمقصود بذلك أن عناصر الثقافة، يكتسبها الإنسان بواسطة التعلم من المجتمع الذي يعيش فيه، وذلك على اعتبار أنها هي التراث الاجتماعي، الذي يتراكم على مر العصور، بحيث يتمثل في آخر الأمر في شكل تقاليد متوارثة.

2-الاستمرار :

تعتبر فكرة استمرار الثقافة، فكرة أساسية في رأي " إدوارد تايلور" فالعناصر، والملامح الثقافية لها قدرة هائلة على الانتقال من جيل إلى جيل لعدة قرون، و رغم تعاقب الأحداث، فإن كثيرا من هذه الملامح التي تمثل العادات والأفكار، والعقائد، والخرافات، والأساطير، تحتفظ بكيانها ووجودها لعدة أجيال وإن مسّ المجتمع بعض التغيير المفاجئ أو التدريجي، فإن كثيرا من العناصر الثقافية تتميز بالبقاء محتفظة بصورها القديمة الأصلية، ومتحدية كل تغيير وتبديل.

(1)- د. محمّد السويدي، المرجع السابق من الصفحة 74 إلى 81 بتصرّف.

وكمـــا يـــرى "رالف لنتن " فإن خاصية الاستمرار نابعة بالضرورة من تصـــور الـــثقافة على أنها ذلك التراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع عن الأجيال السابقة، فللسمات الثقافية قدرة كبيرة على الانتقال عبر الزمن، محتفظة بخصائصها الأساسية الأصلية.

3-الثقافة سلوك مكتسب :

يكتســـب الطفل الثقافة في المجتمع الذي ينشأ فيه إلى أن تصبح من خلال نمـــوه جزءا لا يتجزأ من شخصيته، بعد أن كانت عند ولادته خارجة عنه، فهي تحرك سلوكات الفرد و توجهها دون أن يشعر هو بذلك .

4-الثقافة فوق عضوية :

وهذا يعني أن الثقافة تستمر بعد أجيال عديدة مما يؤكد أن مضمونها هو نـــتاج المجـــتمع الإنساني، أكثر من كونه نتاجا بيولوجيا له، فالثقافة تبدوا فوق عضوية من حيث كونها كامنة في الشعور النفسي للفرد.

5-التراكم والانتقال :

إذ يمكـــن للـــثقافة أن تنتقل من جيل إلى آخر، و يمكن للفرد أن ينمو على حصيلة الأجيال السابقة، فهو ليس في حاجة إلى أن يبدأ من جديد مع كل جيل.

6-التعقيد والتركيب :

يقـــرّ " رالف لنتن " بأن الثقافة كل معقد إلى أبعد حدود التعقيد، وذلك نظـــرا لاشتمالها على عدد كبير جدا من الملامح والعناصر التي حاولت بعض التعريفات حصر بعض جوانبها.

7-التوافق والتكيف :

يـــبدأ الفـــرد في التكـــيف في مرحلة مبكرة من العمر، وبالممارسة يزداد تكـــيفّه مع مختلف جوانب الحياة في المجتمع، بحيث تصبح أكثر سهولة ويسرا وهذا بفضل " التوافق الثقافي".

8-الذيوع والانتشار :

و يعـــرّف الانتشار الثقافي بأنه العملية التي ينتشر بواسطتها العنصر الثقافي مـــن فرد أو جماعة أو مجتمع إلى فرد أو جماعة أو مجتمع آخر، وتتم هذه العملية بواســـطة "محركات " أو وسائل كالتجارة والحروب والتزاوج والآداب وتبادل الآثار العلميّة والجامعات ووسائل الاتصال الفكرية إلى غير ذلك من الوسائل.

9-الثبات والتغير :

مـــن خصـــائص الـــثقافة أنهـــا ثابتة ولكنها متغيرة، والملاحظ أن بعض الـــثقافات، كتلك الخاصة بالبلدان الصناعية (الغربية) أكثر مرونة من غيرها، ويمكن أن تتوافق مع التغيير السريع دون أن تصاب بالتحّلل، وبالإضافة إلى هذا فـــإن إحـــدى الـــثقافات قد تكون أكثر تقبلا للتغيير في بعض المجالات عنها في

مجـــالات أخرى ففي الثقافات الغربية عموما تتغير التكنولوجيا بشكل أسرع من تغيير القيم، و مع هذا فلا القيم ولا التكنولوجيا تظل ثابتة إلى الأبد.

10-الخاصية الاجتماعية :

عادة ما ينظر إلى العادات الاجتماعية التي تتضمنها الثقافة على أنها أنماط مثالية للسلوك، وعلى الأعضاء أن يتوافقوا معها وإن كان هناك تفاوت كبير بين المثل الأعلى و بين التطبيق ولكن وجود المثل الأعلى متفق عليه بصورة عامة، إذ أن هـــذه الصفة المثالية، تميّز العادة الجماعية عن العادة الفردية التي لا تحتوي عـــلى أي مضمون، وهكذا تحتل الثقافة كما يرى(لنتن) مكانها في عقول الأفراد ولا تجد تعبيرا عن نفسها إلا عن طريقهم، وبصفتهم كأعضاء في المجتمع.

11- الثقافة متشابهة لكل :

يذكـــر عـــاطف وصفي في كتابه لأنثربولوجيا الثقافية (1) بأننا قد نجد أنظمـــة متشـــابهة في كل ثقافة من الثقافات فمثلا في كل مجتمع يوجد نظام عائلي قرابي محدد، وكذلك الحال بالنسبة للملبس و غيره من الأنظمة.

وهـــذا مـــا يطلق عليه الأنثروبولوجيين اسم الأنماط العالمية للثقافة، ولا يوجد اختلاف واضح في تحديد تلك الأنماط التي يحددها "وسلر" كالآتي :

(1)- عاطف وصفي، المرجع السابق، الصفحات 92-93-94، بتصرّف.

1- اللّغة

2- العناصر والمركبات المادية

أ - عادات الطعام

ب- المأوى

ج- وسائل النقل والسفر

د -الملـــبـــس

هـــ -الأدوات والآلات

و- الأسلحة

ر - المهن والصناعات

3- الفـــــن

التحف والرسم والموسيقى وما إلى ذلك.

4- الأساطير والمعارف العلمية

5- التصرفات الدينية

أ- الأشكال الطقوسية

ب- طقوس المرض

ج- طقوس الموت

6- الأسرة والنظم الاجتماعية

أ - أشكال الـــــزواج.

ب- نظم التسلسل القرابي.

ج- المـــــيـــــراث.

د- الضبط الاجتماعي .

هـــ - الألـــــعـــاب.

7- الملكية

أ- الملكية العقارية وملكية الأشياء المنقولة.

ب-مستويات قيمة الأشياء و التبادل.

ج-التجـــــــــــارة

8- الحكومة

أ- الأشكال السياسية.

ب- الإجراءات القانونية والقضائية .

9- الحرب

وهـــذه التصنيفات لعناصر الثقافة هي الحد الأدنى الذي لا بد من توفره في كـــل ثقافـــة مهمـــا انخفض مستواها الثقافي، و التي لا بد أن توجد في أكثر الـــثقافات تقدما و نموا و كما يقول عاطف وصفي ففي الثقافات المتقدمة نجد تشـــعب كل نمط من تلك الأنماط إلى مئات التفرعات و ذلك نظرا للتخصص المطبق بدقة متناهية في الثقافات المتقدمة .

وظائف الثقافة : (1)

للثقافة عدد من الوظائف التي تقوم بها في المجتمع، متمثلة فيما تقدمه للفرد من طرق ووسائل لإشباع حاجاته ومطالبه البيولوجية والتقنية و الاجتماعية وما تقدمه الثقافة للفرد متعدد الجوانب عميق الأهمية في حياته فعن طريق الثقافة يتكيف الفرد ككائن بيولوجي مع البيئة التي يعيش فيها فهي التي تحدد الطرق والقواعد التي تساعده على التوافق مع وسطه الطبيعي والاجتماعي كما تعمل الثقافة من جهة أخرى على ضمان وحدة الجماعة و استمرار وجودها ومن أهم الوظائف التي تقوم بها الثقافة نحو الفرد والجماعة ما يلي :

1- تعطي الثقافة للفرد القدرة على التصرف في أي موقف كما تهيئ له أسباب التفكير و الشعور، فمنذ الولادة يتعلم الطفل أساليب الثقافة التي تعيشها أسرته ومدرسته و الجماعة التي ينتمي إليها، و إذا حدث أن احتج الطفل على أسلوب و طريقة ما، و يسأل لماذا ؟ فإنه يتلقى إجابة : أن الأمر هو كذلك وحسب.

2- تزود الثقافة الفرد بما يشبع به حاجاته البيولوجية، إذ ليس على الفرد أن يبدأ من الصفر لكي يتمكن من إشباع جوعه، أو تلبية رغباته الجنسية أو حاجاته إلى الراحة، و ذلك لأن مختلف الطرق و الأساليب التي تنظم هذه الوظائف تصبّها في قوالب محددة، معروفة من قبل، يواجهها الإنسان بالتدريج في مراحل نموه المختلفة، كما تعلم الثقافة أين ومتى يشبع حاجاته هذه وغيرها.

(1)- محمّد السويدي، المرجع السابق الصفحة 90 إلى 92 بتصرّف.

3–يجد أفراد الجماعة في ثقافتهم تفسيرات عن أصل الإنسان، والكون والظواهر الـــتي يتعرضون لها كالزلزال، والعواصف، والأمطار، وغيرها، وقد تكون هذه التفاســـير المقنعة من النوع الخرافي (كإله الحب و إله الريح إلخ .....) وقد تكون علمية تجريبية (الماء = أكسيجين + هيدروجين).

4–تحـــدد الـــثقافة مختلف المواقف، و تعرفها لأعضائها كما تزودهم بمعاني الأشـــياء و الأحداث، ولهذا يستمد أفراد الثقافة الواحدة من ثقافتهم عددا من المفهومـــات الأساســـية، لكي يتمكنوا في ضوءها من تحديد ما هو طبيعي وغير طبـــيعي ،منطقي وغير منطقي، جميل وقبيح، كريم وبخيل، خير وشر الخ، أي أن الثقافة تمدّنا بمعنى الحياة وهدف الوجود.

5– تعطي الثقافة لأفراد الجماعة الواحدة ،شعورا بالانتماء، لأنها تربط أعضائها في جماعـــة واحـــدة يشـــعرون بالاندماج فيها، ويظهر هذا جليا عندما يتقابل شخصان من ثقافتين مختلفتين، فيحس كل منهما بانتمائه وتعلقه بثقافته .

6– تســـاعد الـــثقافة أفراد الجماعة على التكيف لمكانتهم في المجتمع، فهي التي تقدم لهم الوسائل الضرورية للقيام بأدوارهم، و لذلك كانت الثقافة تربة خصبة لنمو وترعرع الشخصية وازدهارها .

أهمية الثقافة و نسبيتها :

تكمن أهمية الثقافة في كونها "وسيلة وقائية، أو هي" غطاء" متوارث يتقي به الإنسان غوائل البيئة، وقســـوة الظروف، ولذلك قيـــل إن الإنـــسان مثـــل

الحيوانات "اللافقارية الصدفية أو القشرية، يعتمد في بقائه على"هيكل خارجي" أو غـــلاف ثقـــافي يتألف ممّا يصنعه الإنسان ويقوم به من جهود وأعمال" (1) وهكـــذا أشار "مالينفسكي" إليها باعتبارها أهمّ موضوعات العلوم الاجتماعية على الإطلاق.

ويـــنظر " أوجبرن ونيمكوف " إلى الحياة الاجتماعية، بوصفها دراما إنسانية يؤدّي أدوارها أربعة ممثلين أساسيي،ن وهم الوراثة، والبيئة الجغرافية والحـــياة الاجتماعـــية، والثقافة، لكنّه يرى أنّ الثقافة هي وحدها التي تلعب الدور الأساسي في الدراما الإنسانية، و ذلك أن الإنسان وحده هو الذي له ثقافة.(1)

أمّـــا عـــن مـــبدأ نسبية الثقافة، فنجده قديم، ظهر منذ ظهور الاهتمام بأساليب معيشة الشعوب على اختلاف تلك الأساليب فنجد "بوهيثوس Boethius" يقول مشـــيرا إلى ذلـــك : "إنّ عـــرف الأمم وقوانينها تختلف اختلافا بينا لدرجة أنّ السلوك التي تعدّه الأمم جديرا بالثناء، تعدّه أمم أخرى مستحقا للعقاب" ، وقد أوضح "ديكارت" الفكرة نفسها في كتابه مقال في المنهج، حيـــث قال : "لقد

(1)- قباري محمّد إسماعيل، المرجع السابق، الصفحة 453.

(2) - سامية حسن الساعاتي، المرجع السابق - ص 28-29 .

تيقنـــت مـــن خـــلال أسفاري أن أولئك الذّين لهم اتجاهات وأساليب تخـــتلف اختلافا كبيرا عن اتجاهاتي وأساليبـــي، ليسو من أجل ذلك الاختلاف برابرة أو المتوحشين بل إنّ لهم منطقهم الذي قد يتفوق على منطقي، فالشخص نفسه الذي ينشأ منذ نعومة أظافره بين الفرنسيين أو الألمان سوف يكون مختلفا تماما إذا ما نشأ بين اليابانيين أو بين آكلي لحوم البشر".(1)

وقـــد عبّر عن هذا " فرانز فانون" عندما قال : "... لقد ألقيت بنفسي في أحضـــان الماضـــي الأســـود، ولكـــني ماذا وجدتّ ؟ لقد وجدت" شلجر ووسترمان وديلافوس" وغيرهم من العلماء البيض الذين بحثوا ونقبوا ووجدوا أنّه قـــد وقعت غلطة، وأنّه لم يوجد أبدا ما يسمى "بالرّجل البدائي": "إنّني لم أكن أبـــدا رجلا بدائيا ناهيك عن أن أكون نصف إنسان" ويضيف في موضع آخر قـــائلا: "... إنّني أنتمي إلى جنس كان يعالج الذهبّ والفضة، ويستعملها منذ ألفـــي عـــام، ولذلـــك فقـــد اســـتطعت أن أوجّه الرجل الأبيض إلى حدوده الصـــحيحة، واستطعت أن أثبت له أنّني لست وافدا جديدا على الحضارة، وأنّ تـــاريخي غـــني كتاريخه" إذن تبدو قضية التقييم قضية زائفة، لأنّه لا يوجد معيار عـــلمي لتقييم الثقافات، ومن ذا الذّي لا يعلم أنّ كلّ ثقافة تعتبر نفسها أرفع من غيرها و أسمى منها و ذلك طبقا لمعاييرها.(2)

(1) - نفس المرجع السابق، ص 30.

(2)- نقلا عن محمّد السويدي المرجع السابق ص 94.

إنّ نسـبيّة الثقافة، مبدأ سائد في الدراسات الأنثروبولوجية إذ ليس من مهـام الأنـثروبولوجي تقييم ثقافة أمام أخرى باعتبار أنهّ لا أحد يملك وسائل تقييم الثقافات.

علاقة الثقافة و المجتمع:

قـد يتضح لنا من كل ما سبق ذكره، أنّ المجتمع هو عبارة عن جماعات أساسـها الأفراد، والثقافة هي أساليب استجابة الأفراد داخل الجماعة لحاجاتهم النفسـية الاجتماعية، والإنسان يحي منذ مولده في عالم رمزي يخلقه هو، تكون كـل حقيقة بالنسبة له رمزية، وتكون كلها نسبية مع النظام الثقافي الذي ينتمي إليه، ويرى "رالف" لنتن أنّه على الرغمّ من أنّ الثقافة والمجتمع شيئان متلازمان إلاّ أنهمّا ظاهرتان من نوعين مختلفين، يتصلاّن ببعضهما عن طريق الأفراد الذين يكونون المجتمع، تعبّر سلوكا تهم عن نوع ثقافتهم، وكلّ فرد يعبّر عن جزء أو جانـب مـن جوانب الثقافة المتعددة، فمن غير الممكن أن يلمّ فرد واحد بكل جوانـب ثقافـته، بـيد أنّ مجمـوع الأفـراد منتظمين داخل الجماعة، يصبح باسـتطاعتهم إدراك وممارسـة ثقافتهم كاملة، وبإمكانهم فهم بعضهم البعض ومعرفتهم لما يتوقعه كلّ واحد منهم من الآخر.(1)

ويفـرقّ عـالم الاجتماع "فيليكس كسينج" F.Keessing بين الثقافة والمجـتمع، وذلك بقوله : "إنّ الثقافة تركزّ على البؤرة التي تتجمع فيها عادات الشعب، بينما يركّز المجتمع على الشعب الذي يشارك في العادات".(2)

(1) - نفس المرجع السابق الصفحة 229.

(2)- محمّد عاطف غيث، دراسات إنسانية و اجتماعية القاهرة، دار المعارف بمصر، 1965، ص 63.

ويصعب التمييز بين الثقافة والمجتمع وبين ما هو ثقافي وما هو اجتماعي، فمثلا إذا كانت الحاجات الاجتماعية الأساسية للإنسان يمكن أن تفسّر تفسيرا اجتماعيا فإنّ طرق إشباعها يتم وفق عدد من العناصر الثقافية.(1)

وقد استطاع "رالف لنتن" التمييّز بين الفرد والجماعة والثقافة وذلك لكثرة الخلط بينهما لدى الباحثين ولتداخلهما الوثيق، وذلك عندما قال : "إنّ كل كلمة من هذه الكلمات الثلاث تمثل اسما لكيان مختلف كما أنّ لكلّ منها خصائصه المميزّة، ودوره الخاص في الصورة الديناميكية التي تتكون من الكلمات الثلاث" ويواصل قوله، "فالمجتمع جماعة منظمة من الأفراد، والثقافة طائفة منظمة من الاستجابات المكتسبة يتميّز بها مجتمع معيّن، والفرّد كائن حيّ قادر على التفكير والشعورّ والفعل بذاته، لكن استقلاله الذاتي هذا مقيّد، واستجاباته يشكلّها تشكيلا جذريّا الاحتكاك بالمجتمع والثقافة الذين ينمو فيهما".(2)

ومن شأن الأنثربولوجيا اعتبار الحياة الاجتماعية"نظاما ترتبط به عضويّا كل الجوانب" على حدّ تعبير " كلود ليفي ستروس".(3)

فالثقافة ظاهرة اجتماعية نفسية تحتل مكانها في عقول الأفراد، ولا تجد تعبيرا عن نفسها إلاّ عن طريقهم، وهي المعنى الذي يستقي الفرد منه مبادئ

(1) -نقلا عن محمّد السويدي، المرجع السابق الصفحة 30.

(2)- المرجع السابق، ص 32.

(3)- ر-بودون و ف-بوريّكو، المعجم النقدي لعلم الإجتماع، ترجمة : سليم حدّاد، الطبعة 1 الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، الصفحة 229.

سـلوكه الاجتماعي، وأسس نشاطاته العقلية كعضو في المجتمع، وكما ذكرنا في خصـائص الـثقافة آنفا، فالفرد ينقرض والثقافة التي هي فوق عضوية تستمر، وتبقى خالدة بعد الفرد ليتوالى عليها آخرون، تورث وتورّث عن طريق التنشئة الاجتماعية والتعليم والمحاكاة.

التنشئة الاجتماعية :

تبدأ عملية اكتساب الثقافة و تعلّمها منذ الميلاد، و يتماثل جميع الأفـراد مـع معايير الأسر، والمجتمعات التي يعيشون بداخلها، و لا يتسنى لهـذا التماثل أن يكون خارج إطار التنشئة أو الصياغة الاجتماعية، وهي عملية تلقين الفرد قيم، ومقاييس، ومفاهيم المجتمع الذي يعيش فيه وتدمجّه منذ سنّه المبكرّ في التنظيم الثقافي السائد في مجتمعه، و هذا بإدخال التراث الـثقافي في تكويـنه، و توريثه إياهّ توريثا متعمدا. فالطفل يولد دون أن تكـون له شخصيته المميزة، و لكن خلال مراحل نموّه، تتكون لديه شخصيته بسـبب تفاعل إمكاناته الفطرية مع محيطه الخارجي، فيصبح جزءا من البيئة التي ينمو فيها وحاملا لخصائصها ومزاياها.

وكما ذكر "جون ديوي"، فالتربية بالنسبّة للحياة الاجتماعية كالتغذية والتناسل، والتكاثر بالنسبة للحياة الفسيولوجية سواء بسواء. وكتب أيضا في أحـد مؤلفاته، بأنّ التربية تنشأ عن اشتراك الفرد في الوعي الاجتماعي للجنس البشري، وهذا السبيل ينشأ لا وعيا وقت الميلاد، ويستمر على نحو موصول في تشكيل قوى الفرد مكونا عاداته، مدربّا أفكاره، مميزا مشاعره وانفعالاته، وبهذه التربية الاوعيية يصير الفرد بالتدريج مشتركا في الموارد الفكريّة و الخلقية

التي نجحت الإنسانية في نيلها و تحصيلها و تجميعها، و من تم يصبح وارثًا للرصيد المذكور والرأسمال الراهن للحضارة.(1)

إنّ الـــثقافة تضـــفي على حياة الفرد معنى وتكسب الوجود غرضا وتمدّ الأفـــراد بالآمال وتشعرهم بأنهمّ يعيشون من أجل شيء، والأسرة هي التي تنقل هـــذا المـــيراث الثقافي (2)، فكما يقول "مصطفى الخشاب" (3) : "الأسرة في طبيعـــتها اتحـــاد تلقائي تؤدي إليه الاستعدادات و القدرات الكامنة في الطبيعة البشـــرية النازّعة إلى الإجتماع وهي بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسسة اجتماعـــية تنبعـــث عـــن ظـــروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظمّ والأوضاع الاجتماعـــية " وهـــي الفضـــاء الأوّل الذي تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب الفرد وهو طفلا في كنف عائلته، مبادئ وجوهر ثقافته.

ويوضح لنا "محمد حسن غامري"، تلك العلاقة التي تربط الثقافة بالمجتمع وأفـــراده إذا يقول (4) : "عندما نفكر في نظام إشارات المرور مثلا، وذلك عند قـــيادة الســـيارات داخـــل شوارع المدينة، فنحن نخضع لقواعد المرور، ونشعر بالأمـــان لأننا نفـــترض أن السيارات الأخرى تخضع لنفس القواعد، فالسيارات مفـــروض أنهـــا تـــتوقف عند إشارة الضوء الأحمر، وتخفض السرعة عند ظهور الأضواء الصـــفراء، كـــما لا تـــعترض الســـيارات الخطـــوط المزدوجة قبل

(1)- قاموس جون ديوي للتربية ، المرجع السابق، الصفحة 56.

(2)- محمّد مصطفى الزيدان، نفس المرجع السابق، الصفحة 107.

(3)-مصطفى الخشاب، دراسات في الإجتماع العائلي، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، الصفحة 43.

(4)د.محمد حسن غامري ، طريقة الدراسة لأنثربولوجية الميدانية الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث 1989 الصفحة 11.

الدورات، فإن توقعنا أن الغير لا يخضع لهذه القواعد، فإن نظام المرور يختل ويفقد كـــل سائق الثقة في تطبيق هذه القواعد فالالتزام المتبادل للقواعد يؤدي إلى تحقيق الـــنظام المعقـــد لإشارات المرور ، وفي ضوء هذا المثال الذي نمارسه كل يوم في شـــوارع المديـــنة مـــن حيـــث الالتزام المتبادل لقواعد المرور فإن الالتزام بالنظام الاجـــتماعي يجعلـــنا نعرف بطريقة عامة السلوك المتوقع من الآخرين في مواقف محددة داخل مجتمعنا.

وخلاصة القول فإنّ المفهوم العام للثقافة يحمل في ذاته معنى التكيّف، كما تكشـــف فكرة الثقافة عن بعض الدلالات التي تشير إلى تدخل الإنسان في تعديل الطبـــيعة أو تحويرها بإضافة "عناصر بشرية " على الوجود الطبيعي وإدخال أشياء إجتماعية لم تكن موجودة في الطبيعة وبالتالي فكل "إضافة إنسانية " على الوجود الفيزيقي أو العالم الطبيعي "هي ثقافة".(1)

ومنه فالثقافة هي ظاهرة إنسانية، على حدّ تعبير"ملفيل هرسكوفيتس".(2)

(1)- قباريّ محمّد إسماعيل، المرجع السابق ص 107.

(2)"Hers Korvits Melville", les bases de l'Anthropologie Culturelle, Paris : François Maspero éditeur, 1967. Collection Ma Petite Collection. Maspero, Chapitre N°1, page01. Site Web version électronique, Internet.

الفصل الثاني

العادات الاجتماعية

المبحث الأول: تعريف العادات والتقاليد وأهميتها الاجتماعية

المبحث الثاني: نشأة العادات الاجتماعية، خصائصها ووظائفها

المبحث الثالث: أنواع العادات الاجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمّة وإنّا على آثارهم مهتدون﴾

سورة الزخرف الآية *22*

تمهيد

قبل اهتمامي بدراسة العادات الإجتماعية لم أكن أعر أية أهمية لكثرة المصطلحات المؤدية نفس المعنى المقصود من وراء كلمة عادات وتقاليد، وذلك رغم التباين الطفيف الموجود بينها، فكثيرا ما استعملنا كلمات، أعراف، تقاليد، عادات، و سنن، و فلكلور أحيانا بنفس المعنى.

وأثناء بحثي، وجدّت كثيرا من المراجع والمصادر تختلف في استخدام هذه الكلمات وبنفس المعاني، وهذا أيضا ما أشارت إليه الدكتورة "فوزية دياب" في كتابها القيم والعادات الاجتماعية (1) إذ تقول : "إنّ ما يتحدّث عنه أحد العلماء على أنّه فلكلور (طرق شعبية) يتحدث عنه الآخر على أنّه أعراف Coutumes ويسميه آخر (سنن) Mœurs الخ "و قد أشار بعض الكتّاب إلى صعوبة تحديد معاني العادات الاجتماعية تحديدا علميا دقيقا، فنجد مثلا "إدوارد سابير" في كتابه "الأنثربولوجيا" يخصص فصلا كاملا لهذا المفهوم وذلك تحت عنوان العرف La Coutume.

و يقول (2) : "لكثرة تداول هذه الكلمة في لغتنا اليومية، أصبحت حجر الأساس في تطوّر المفهوم الإثنولوجي للثقافة، و هي في دلالتها الموضوعيّة، شاسعة شساعة كلمة الثقافة نفسها" ويخلص إلى القول أنّها تستعمل

(1)- فوزية دياب، القيم و العادات الاجتماعية : مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، الطبعة 1 بيروت دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1980، الصفحة 103.

(1)- EDWARD SAPIR. IBID. P.113 et seq.

للدلالـــة على جملة أنماط السلّوك المتناقل بواسطة العادة والتقليد داخل الجماعة وذلـــك في مقابل النشّاط الشخصي للفرد، وهذه الكلمة لا تنطبق على مظاهر الحـــياة الجماعيّة التي تحدّدها الاعتبارات البيولوجية، "فمثلا أكل الدجّاج المقلي هو عرف، لكن الأكل في حدّ ذاته ليس عرفا".(1)

ونحـــن نســـير وفق عادات مجتمعنا بلا وعي منّا، فالعادة شعور متأصّل فيـــنا، وهـــو مـــا جعل علماء النفس يقرون بأنّ العادة هي طبيعة ثانية تتماشى وطبيعة الإنسان.

وفي هذا الجزء سوف نتطرق لتعريف العادات الاجتماعية بكثير من التفصيل.

تعريف العادات و التقاليد و أهميتها الاجتماعية

العـــادة لغـــة هي عادات، و عاد و عيد و عوائد : أي ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مرارا و تكرارا.(2)

و اصطلاحا فهي تعبير على أشكال التفكير و السلّوك المستقر الذي يقـــوم بـــه الفرد في المجتمع، لكن هذا الاصطلاح يستعمل بكثرة من قبل عـــلماء الأنثروبولوجـــيا الاجتماعـــية لوصف التصرفّات الروتينية للحياة اليومـــية، أو الأحكام الداخلة ضمن الروتين أو النماذج الحضارية المستمدّة من التصرفات المتكررّة أو الطبيعة المميزة للكلّ الحضاري.(3)

(1)- IDEM.

(2)- المنجد في اللّغة و الأعلام، الطبعة الحادية و العشرون بيروت دار المشرق، الصفحة 532.

(3)- دينكن ميتشل، نفس المصدر السابق الصفحة 70.

و يعـــرفّها " مالينفســـكي " بأنّهـــا روتين الحياة الحقيقية الذي يشهده الأفـــراد، ذلـــك الروتين الذي يتعلق بطبيعة اللهجّة، و اللّغة التي تستعمل في الحـــياة اليومـــية و الـــتي تتفاعل مع الرموزّ السلوكية فتكونّ جملة ظواهر إجتماعية معقدّة يصعب على العالم تدوينها أو وصفها أو تحويلها إلى أرقام لكن يمكن مشاهدتها وقت حدوثها أو التكلّم عنها.(1)

و عـــرفها الدكتور صالح الشمّاع بأنها (2): "مجموعة الأحوال الحركية والانفعالـــية، والذهنـــية، الـــتي تكيّف الإنسان إلى ظروف العالم المادي، والوسط الاجـــتماعي المحـــيطين بـــه، وبأنّها أثمن عنصر محافظ يصون أسس الحياة الحضارية والاجتماعـــية التي أثبتت الأيّام نجاحها، وكفاءتها فبالعادة يخضع الفرد بالتدريج إلى شخصـــية المجتمع، فهي توافق وتساند بين الفرد والمجتمع "وعرفّها بشكل عام "جلن وجلـــن" بأنهـــا كـــل ســـلوك متكرّر يكتسب اجتماعيا، ويتعلم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا، و يتوارث اجتماعيا.(3)

و هـــذا الـــتعريف يجعلنا نقف على حقيقة الفروق القائمة و طبيعة العلاقة الواضحة بين العادات الفردية و العادات الاجتماعية، فالعادة الفردية كما يعرفها علماء النفس (4) : " هي كيفية راسخة في النفس تمكّن صاحبها من أداء بعض الأفعال، أو تحمّل بعض المؤثرات بسهولة أو هي قدرة مكتسبة على أداء عمل بطريقة آلية مع السرعة و الدقة و الاقتصاد في الجهد، وهي تختلف عن الغريزة بأنّها استعداد مكتسب، يحصل للنفس بتكرار الفعل أو استمرار التغيّر.

(1)- نفس المصدر السابق و نفس الصفحة.

(2)صالح الشمّاع، مدخل إلى علم النفس، الطبعة 3 ، بيروت مكتبة الفكر الجامعي منشورات عويدات، أفريل 1978 ، الصفحة 62 إلى 65.

(3)فوزية دياب، نفس المرجع السابق الصفحة 104.

(4)- جميل صليبا، المعجم الفلسفي الصفحة 40.

فالعـــادة الفاعلـــة كعادة الكتابة تتكوّن بتكرار الفعل، والعادة المنفعلة كـــتعوّد الجسم تحملّ بعض المؤثرات، تتكون باستمرار التغيّر، و مع أنّ لكل فعـــل أو تغيّر أثرا في النفس فإنّ هذا الأثر لا يصبح كيفية راسخة إلاّ بالتكرار و الممارســـة " و معـــنى هذا أنّ العادات الفردية، تحددّها الطبيعية البيولوجية للإنسان، و طبيعته الفردية، و بالتالي فيمكن لها أن تنشأ وتستمّر خارج إطار علاقـــة التأثير و التأثر الحاصلة في الجماعة، و هذا ما يمكننا ملاحظته كعادات المشـــي و الأكل و الكلام، و النوّم، و التعبّد والاستحمام و غيرها، أمّا العادات الاجتماعية فهي توضح ذلك الأسلوب الاجتماعي للتصرف الفردي، كآداب الســـلوك العّـــام، مثل طرق إلقاء التحية و المحادثة، و المجاملات، خطبة البنات للـــزواج، و ربّما أهمّ ما يميز العادات الفردية عن العادات الاجتماعية هي ما يتصل بهذه الأخيرة من جزاء اجتماعي يخص الفرد إزاء مخالفتها.

وكـــان "سمـــنر" أوّل مـــن وضحّ معنى الجزاء الاجتماعي في كتابه "الطرق الشـــعبية" إذ ذكـــر (1) : "بانّ المقاييس الاجتماعية يمكن تصنيفها بالنسبة لأنواع الجـــزاءات المفروضـــة عـــلى الأشخاص، أو الجماعات بغية تحريضها على الالتزام بالسلوك السوي الذي تقرّه الأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية."

و في نفـــس هذا السياق كتب "راد كليف براون" في مقالته الموسومة " الجـــزاء " والتي نشرها في الموسوعة البريطانية للعلوم الاجتماعية عام 1934 بأنه مـــن الضروري التمييز بين الجزاءات المنتشرة و الجزاءات المنظمّة و هي دراسة توضحّ وسائل الضبط الاجتماعي التي لا تدخل ضمن الإجراءات الشرعية.(2)

(1)- دينكن متشل، المرجع السابق الصفحة 182.

(2)المرجع السابق، نفس الصفحة.

و سنرى فيما بعد في أقسام العادات الاجتماعية كيف أن الموضة كعـادة مسـتحدثة، تشـكل مـثالا عـن تحـول العادة الفردية لعادة اجتماعـية، ومـن الناحية البيولوجية، فأساس الأعراف هو العادات الفردية الـتي نشـرها الأفـراد في المجتمعات بحكم علاقتهم بها، و الطبائع التي تنتشر بشكل مستمّر داخل المجتمعات ترسّخ فيها، و على العموم فنفسية المجـتمع تتغلب على نفسية الفرد، و يقول "سابير" في هذا الصدّد، بأنه مـن السـهل علينا تخيل عملية تبلور العادة الفردية في صفة عرف أو عادة اجتماعية في حين يصعب علينا ملاحظة ذلك ميدانيا، و تكتسي العادات الاجتماعـية أهمـيّة كبيرة في حياة الأفراد داخل المجتمعات، وكما يقول "بـاجوت Bagehot " (1) :" الإنسان حيوان صانع عادات"، فطبيعته كإنسان تحتم عليه أن يقيم صرحا من العادات، وإنّ وسيلته إلى هذا هي الشعور بالحاجة إلى الإشباع والقوة الخفية وراء المحاكاة.

ورفـض عـادة أو شعيرة يعني رفض المجتمع بكل ما فيه من عمق (2) والعـادات الاجتماعية هي الدعائم الأولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل مجـتمع، "نولد فنجد آبائنا متمسكين به ومحافظين عليه ونجد أنفسنا ملزمين على احـترامه والأخذ به، والخضوع له، حتى نتوصل لرضى المجتمع ونتجنبّ سخطه ونشـعر بالانـتماء إلـيه، والاندماج فيه، وإذا ما إستندنا إلى ما كتبه كثير من العلماء عن هذه الأهمية، فنجد أفلاطـون قد وصفها في كتابه (القوانين) بأنها

(1)فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 107.

(2)- هنري مندارس، مبادئ علم الإجتماع، ترجمة د.ملحم حسن الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الصفحة 185

بمـــثابة الدســـتور غير المدونّ، الذي تستقي منه التشريعات والقوانين الوضعية مادتها وأصولها الأولى، وقال عنها "لوك" بأنها قوّة أعظم من الطبيعة، وهذه القوة يمكـــن مشاهدة أثرها الفعّال عند الأمم المتأخرّة التي لا تعرف القوانين الوضعية والـــتي تقوم هذه العادات مقامها عندهم" (1)، وكذلك أوضح "ماكيفر وبيج" في كتابهما المجتمع بأنّه لا يرجى للنظم السائدة أي انتظام ودوام، إلاّ إذا ارتكزت واعتمدت على العادات الاجتماعية.

و تشـــير " روث بينديكت " إلى أهمية الدور الذي تلعبه العادات في صـــياغة أسلوب التفكير و الإعتقاد، وترى بأنّ العادات هي بمثابة العدسة التي تساعد الفرد على مشاهدة الأشياء المحيطة به.(2)

وفيما يلي سوف نتطرق لظروف نشأة هذه العادات الإجتماعية.

نشأة العادات الاجتماعية، خصائصها و وظائفها :

نشأة العادات الاجتماعية :

إن العادات الإجتماعية لا تعدو أن تكون أساليب و طرق عيش مجتمع وأنظمة سلوكه وقواعد آدابه العامة، وبالتالي فهي تشكل المحتوى الجوهري للثقافة، وظروف نشأتهما هي نفسها، فكما رأينا في الفصل الأوّل من هذا البحث، قد أرجع مالينفسكي، و"رالف لنتن" و "إبن خلدون" و "سمنر" ظروف نشأة الثقافة إلى الحاجات الأساســـية للإنسان وطـــرق تلبيتها و إذا ما

(1)- د.فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 107.

(2)- Ruth Benedict. Echantillon de civilisation, Paris : édition gallimard, 1950. Collection : NRF les essais XL II. P 05, version électronique, Internet.

رجعنا إلى رأي "رالف لنتن" في ذلك فنجده يقول بأنّ الأساليب المختلفة لتلبية هذه الحاجات تغلب عليها المحاولة والعشوائية وبعد تكرارها مرّة بعد مرّة، تتبنى الجماعة الأسلوب السليم و يتبّع بعد ذلك لتتمسك به أفراد الجماعة مع مرور الزمن، و بعد أن يصبح متعارف عليه ومستحسن يتبلور في شكل عادة.

وبالـــتالي فهي مسيرة تتشكل بواسطتها تجارب حيّة وقابلة للتكّيف، وفي هـــذا يقول "سمنر" (1): "ففي سبيل التصارعّ من أجل البقاء وعن طريق تعاون الـــناس ببعضـــهم البعض، تتكّون الطرق الشعبية وتنشأ بطريقة غير واعية وغير شـــعورية، وبمرور الزمن تبدو ثابتة وأصيلة وراسخة، على الرّغم من أنّ أحد لم يقصد حدوثها أو يتعمّد تكوينها أو يخطّط لها، أو يعرف عنها مقدمّا."

فمـــن الطبـــيعي أنّ الأنواع المختلفة للتقاليد تتشكل وفقا لأصول مخـــتلفة فآداب المائدة لا تتشكل بالطريقة نفسها التي تتشكل بها القواعد الـــتي تحكـــم الارتقاء إلى عرش إنكلترا، وهذه التقاليد مكتسبة عن طريق نمـــوذج الترسيخ فنحن نتعلّم دون جهد عبر الملاحظة للعديد من السلوكات و المعارف، (2) و في نفس هذا المعنى قد أبرز" باجوت " أهمية عامل المحاكاة في ترسيخ التقاليد، و قد نظر إليها نظرة علماء النفس المعاصرين الذين يرون أنّها ميل فطري يشمل الإيحاء (أي المحاكاة في الأفكار)، والمشاركة الوجدانية (أي المحاكاة في العواطف)، و التقليدّ أي (المحاكاة في السلوك والأفعال).(3)

(1)- د. فوزية دياب، المرجع السّابق، الصفحة 119.

(2)- ر،بودون وف، بوريكوّ، مصدر سابق، الصفحة 196.

(3)- د.فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 118.

والمحاكاة هي تأثر فعل أو اتجاه الكائن الحي بكائن حي مماثل وأنّ فعل أو اتجـــاه الأولّ يـــتحدّد بفعل أو اتجاه الآخر، ويذكر النفساني الإنجليزي "إستوت Stout" في كـــتابه Amanual Of Psycology شـــروط وظـــروف المحاكـــاة فيقول: (1)

◆ **أولاّ** : إنّ مـــن الأيســـر أن يحتذي الذوق السائر والإجراءات المصطلح عليها حولـــنا من أن نفتح سبيلا جديدا بأنفسنا وإذن فاتبّاع الأمر المألوف عادة تنتج عـــن الإقتصاد في الزمن والصعوبّات، فبدل أن يبدأ الفرد كل شيئ بنفسه، نراه يميل إلى الإستسلام إلى المجتمع المحيط به فيحاكي مايراه سائدا من حوله.

◆ **ثـــانـــيا** : إنّـــه لأمـــر عام كراهية اجتذاب الانتباه بإظهار ما هو فريد في نوعه، غريب في ذاته، والكثير من النّاس يكره أن يزعج غيره ببدع جديدة.

◆ **ثالـــثا** : يتعلّم النّاس بالاختيار والتجربة أنّ ما يعمله الغير، تبررّه في كثير من الأحـــوال أســـس معقولة ومقبولة، وإنّ الانحراف عمّا يعمله الغير، يكون مجلبة للضـــررّ في كثير من الأحوال "و يقول الدكتور صالح الشماع بأنّ المبدأ القرآني وهـــو الأمـــر بالمعروف والنهّي عن المنكر، معناه أن يتعلم الصغار ما هو مقبول وينتهون عمّا هو منكر نادر الحدوث، ومهما كان أثر الغير وأثر العادات المألوفة في المجـــتمع فـــإنّ المحاكـــاة تتحول بالتدريج، بفضل ما يضيفه الأفراد النابهوّن والعـــباقرة الذين يبتدعون طرقا جديدة ويأتون ببدع نافعة، فتتبعهم المجتمعات جيلا إثر جيل.

(1)-صالح الشمّاع، المرجع السابق الصفحة 105.

خصائص العادات الإجتماعية :

1 ـ التلقائية :

ينشأ الفرد منّا فيجد نفسه أمام هذا الرصيد الضخم والمتراكم من العادات والتقاليد السابقة في وجودها عنّا، هذه العادات التي إرتضتها الجماعة كدستور حياة وجب إحترامها و الأخذ بها، نسير وفقها دون وعي منّا ودون تفكير منطقي ولّما كانت هذه الطرق الشعبية على حدّ تعبير سمنر، تنبثق من حاجات الناس الطبيعية، كما بيّنا في السّابق فإنّها تلقائية و يقول سمنر في هذا (1) :" أنّ الطرق الشعبية ليست من خلق الذكاء البشري و ليست من إبتكار التأمّل العقلي الهادف، بل إنّها تشبه نتائج القوى الطبيعية التي يستخدمها النّاس دون وعي منهم أو هي تقابل مظاهر السلوكّ الغريزية عند الحيوان وتنمو مع التجربّة، وتبلغ أعلى درجاتها بتلاؤمها مع مصلحة مطلوبة، وتنتقل من جيل إلى جيل دون شذوذ أو انحراف في الأسلوب وهي مع ذلك قابلة للتغيير لتتفقّ مع الظروف الجديدة، في نطاق نفس الأساليب المحدّدة ودون تعقلّ أو بحث في الأسباب التي تدعو للتغيير، ومن هذا نستنتج أنّ حياة النّاس جميعا، في جميع العصور ومراحل الثقافة المختلفة، تسيطر عليها أولاّ وقبل كلّ شيء مجموعة من مظاهر السلّوك العّام انحدرت للحاضر منذ القدم على الأجناس الأولى، متفقة في ذلك مع أساليب السلّوك العّام عند أنواع الحيوان الأخرى و لم يتغّير فيها إلاّ ظاهريّا نتيجة للفلسفة الإنسانيّة والأخلاق أو نتيجة لفكر ممتاز."

(1)- ماكيفر و بيج نفس المرجع السابق الصفحة 41.

2- الإلزام والجبرية :

يـــنظر المجـــتمع إلى الآداب العامة التي يسير عليها على أنّها سليمة ومن بين أسباب ذلك أنّها تسّهل مقدارا كبيرا من تجارب المجتمع و على الأخـــصّ التجارب التي غمرها النسيان، و لكنّها تجارب وجهتّها الظروف الحسنة أو السيئة توجيها يجعلها تطيب في نظر المجتمع، هذه التجارب تحوّلت إلى تقالـــيد ثابتة قواهّا الخوف و الاشمئزاز من الشيء الذي نجهله بسبب عـــدم محاولاتنا له من قبل، و على ذلك فالآداب العامة تعتبر بوجه عّام من عوامل المحافظة على الأفكار القديمة و بالطّبع يصيب الإخفاق أكثر المحاولات القانونية لتغيير الآداب العامة.(1)

وفي هـــذا يقـــول "دوركـــايم" : (2) "إني إذا خرجـــت على العادات المرعـــية، و لم أقـــم وزنا للعرف المتّبع في وطني وفي طبقتي بخصوص الزيّ فإنّ ما أثـــيره مـــن عاطفة السخرية، وما أبعثه حولي من الاشمئزاز ينتجان، ولو بصورة مخففـــة النتيجة نفسها التي يؤدي إليها العقاب الحقيقي، (...) لست مجبرا على اســـتخدام اللّغـــة الفرنسية كأداة للتخاطب مع أبناء وطني، ولست مضطرّا إلى استخدام النقود، ولو حاولت التخلّص من هذه الضرورّة، لباءت محاولتي بالفشل المحـــض، وإذا كنـــت مـــن أرباب الصناعة فليس هناك ما يمنعني من استخدام الأساليب والطرق التي كان يستخدمها النّاس في القرن الماضي، ولكنّي لو فعلت ذلك للحق بي الدمّار، ما في ذلك شكّ...

(1)- ماكيفر و بيج نفس المرجع و نفس الصفحة.

(2)- دوركايم، المرجع السّابق، الصفحة 41-42

ولـــو فرضـــنا أنني تمكنت في الواقع، من الخروج على هذه القواعد ومن خـــرقها بنجاح فلن أتمكن من ذلك إلاّ بشرط أن أضطرّ إلى صراعها ولو فرضنا أنني استطعت التغلّب عليها في نهاية هذا الصرّاع فإنها سوف تشعرني بقوّة قهرها إلى حـــدّ كـــاف وذلـــك بسبب ما سألقاه من مقاومتها، وليس ثمّة مجدّدا إلاّ واصـــطدمت محاولاتـــه بمقاومـــة من هذا القبيل، حتى لو كان مجددا، سعيد الطالع."

و ربمـــا المثل القائل " سنونوة واحدة لا تصنع الرّبيع " أو" لا أحد نبيّ في وطـــنه "يعكســـان صحة ذلك، و يقول "جون ديوي " عن إلزامية العادة وعفويـــتها في أحد مؤلفاته (1) : " من الواضح أنّ اكتساب العادات راجع إلى مـــرونة أصـــلية فطـــرية في طبائعـــنا، و إلى قدرتنا على تنويع و تغيير استجاباتنا إلى أن نجد وسيلة مناسبة وفعالّة للتصرّف والعادات الرتيبة والعادات الـــتي تملـــك زمامـــنا بدلا من أن نملك زمامها هي عادات تقضي على المرونة والسلاسّة والطواعيّة، إنّها شاهد على إغلاق الباب في وجه القوّة على التغيير ويضـــيف قـــائلا: "ليس من الميسور على النّاس أن يخلعوا عادات تفكيرهم القديمة، و ينبذوها نبذ النوّاة، و ليس في وسعهم أن يخلعوها جميعا بـــمرّه."

وتشـــير الدكـــتورة "فوزيـــة دياب" بأنّ درجة جبريّة العادات وإلزامها تخـــتلف باختلاف نوعها، فهناك نوع من العادات يعرف بالعادات الحتمية، أو العرف نجده مشبعا بالإلزام، ولذلك لا تتهاون فيه الجماعة، بل تتشبّث به وتلزم الفرد بضرورة مراعاته خشية العقاب الصّارم الذي يترل به إذا خالفه مثل

(1)- قاموس جون ديوي للتربية، المرجع السابق، الصفحة 142.

العـــرف الـــذي يلزم الفرد بالخروج مغطيا جسمه بالملابس، و إلاّ تعرض للعقـــاب الشـــديد كالســـجن مثلا و الغرامة إلى جانب التحقير والنبذ الاجتماعي.

وهناك من جهة أخرى عادات لا تبلغ في إلزامها مبلغ العرف السابّق وهـــي العـــادات الاتفاقية، أو الاستعمالات، وهي العادات التي ليس لها مساس عميق برفاهية الجماعة وسلامة بنيانها.(1)

3-ارتباط العادات الاجتماعية بالتفكير الخرافي والأسطوري:

قبل التطرق للعلاقة بين العادات والتقاليد والأساطير المؤسسة لها في بعض الأحـــيان، يجب الإشارة إلى معنى الأسطورة، ودور التفكير الخرافي، فقد إختلف الكـــثيرون في تعـــريف الأســـطورة، عـــرفها "كسينوفان Xenophanes " بأنها حكايـــات القدماء في الدين وعرفها "سبنسر" بأنها إدراك مبتدأ بل إدراك خاطئ وعرفها آخر بأنها التاريخ في صورة متنكرة واتفق كلهم على أنها طور من أطوار ارتقـــاء الفكر عند الإنسان وهي صور من صور الفكر البدائي والأسطورة هي عـــبارة عن تفسير علاقة الإنسان بالكائنات وهي مصدر أفكار الأولينّ وملهمة الشـــعر والأدب عند الجاهلين وهي ليست فكرة مبتدئة أو خاطئة، بل إنها فكرة بدوية تاريخية صبغت بصبغة الإطناب والمغالاة لإظهار أهمية تلك الحادثة الحقيقية في جيل زال أثره من ذهن الناس، والناس بالطبع يكبرون الشيء الصغير لإظهار

(1)-فوزية دياب، نفس المرجع السابق، الصفحة 121-122.

عظمـــة الجـــيل الســـالف، ولذاك نرى الناس يعظمون الأموات، وكلمّا بعد عصر الأموات من الأحياء، كبرت عظمتهم وبلغوا درجة الآلهة، وكذلك عندما نقف على أطلال الأكواخ القديمة نشعر كأنها كانت قصور ملكية وهكذا شأن الإنسان مع كل ما مضى.(1)

وتعتـــبر الأسطورة، اللحظة النظرية في الوعي الإنساني البدائي، وعن علاقة الأسطورة بالواقع الطبيعي وتجاوزها وتلاشيها، كتب "كارل ماركس" يقول : (2) "إن كل الأسطورية La mythology تتغلب وتسيطر على القوى الطبيعية وتكيفها في الوهم ومن خلال الوهم إنها تتلاشى أما الإنسان فهو بالطبع مجبر على أن يسأل ماذا و لماذا ؟

والبدوي مفطور أن يقتنع بأي جواب ممكن ، وذلك خير عنده من أن لا يجد جوابا مطلقا ، " فالأسطورة أراء البداوة التي تطرق دهن الجاهلي وتخطر بباله وتختلج في قلبه لحل معقداتها فهي قديمة العهد وبعيدة عن الوضوح، ومحتوية على عناصر عدة إلى حـــدّ أنـــه مـــن المســـتحيل أن نرى فيها سببا لكل ناموس من نواميس الحياة الفكرية ."(3)

ومـــن مميزات العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية في جميع الثقافات بصـــفة عامـــة، وبصفة خاصة أيضا في الثقافات المتخلفة والمنعزلة أو التي تنتشر فيها الأمـــية، أنهـــا تتصل بالنواحي الأسطورية وعناصر سحرية وخرافية، كالإعتقاد بأن أرواح أجدادنـــا وأسلافنا تغضب منا أشد الغضب إذا نحن حاولن بأن نغير أو نقطع عاداتهم التي ورثونا إياها.

(1)- د محمد عبد المعين خان، الأساطير والخرافات عند العرب، بيروت دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الصفحة : 07، 18، 21 .

(2)طيـــب تـــيزيني، مشروع رؤية جديدة لفكر العربي في العصور الوسطى، الطبعة 5، دار دمشق للطباعة ولنشر 981، الصفحة 22.

(3)نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

والاعـــتقاد في القـــوة الخفـــية الخارقة للشياطين والجان والأرواح الخبيثة الشـــريرة، فكثير من الناس يخافون الميت في منزل مهجور أو مكان منعزل خشية أن تصيبهم الأرواح المحبوسة.(1)

وهـــناك الكـــثير من الأمثلة عن العادات ذات أسس أسطورية أو خرافية والـــتي إذا أمعنّا النظّر فيها قد لا نجد أيّة صلة منطقية بين وسائل و طرق إتباعها و بين الأهداف و الغايات المرجوة منها و هذه هي الميزة الجوهرية في الخرافات والأســـاطير و إذا تحدثـــنا عـــن العادات المرتبطة بحوادث مستمدّة من التفكير الخـــرافي، فنشـــير إلى أن بعض هذه الحوادث تناقلت عبر الزمن و كأنّها وقائع حقيقية، و بمرور الوقت يصعب التمييز بين ما هو حقيقية، و ما هو خيال فعلى ســـبيل المـــثال يذكر " أوجين دوما Eugéne Daummas " في كتاب له عن الأعراف و التقاليد في الجزائر : (2).

"إن الكحـــل يعتبر من أدوات تزيين العرب نساء ورجال وجواري منذ القـــدم و فضلا عن استعماله لغرض التزيين فإنه يحمي العين من بعض الأمراض وتقـــول الروايّة بأن نور الله سبحانه وتعالى عند انكشافه على سيدنا موسى عليه الســـلام في جـــبل الـــثور بســـيناء، أحـــرق نوره كل الحجارة الموجودة في الجـــبل، وتحولت بعد ذلك إلى كحل و من هذه الرواية، يعتبر الكحل هديّة من عـــند الله، و تذكـــر رواية أخرى، بأنّ زرقاء اليمامة و هي إمرأة يمنية كانت تعاني من إلتهاب في عينيها وبعد إستعمالها للكحل شفيت وتحسنّ بصرها، حتى أصـــبحت تـــرى القادم إليها إن كان رجلا أو إمرأة وهو على بعد يومين مشيا على الأقدام ".

(1)- د فوزية دياب المرجع السابق الصفحة 123.

(2) E. DAUMAS, Mœurs et Coutumes de l'Algérie PARIS la Bibliothèque arabe Sind Bad, 1988.

و الحكايـــة الخرافية ترجع بنا إلى عصور تسبق كل تاريخ مدّون كما أنّها تـــرجع بـــنا إلى بداية الفنّ الشعري، و إلى عالم آخر من الفكر و الإعتقاد و الحق والديـــن و هي لا ترجع بنا إلى الأزمنة الماضية فقط، فما نعدّه اليوم قديما موغلا في القـــدم، مـــا يـــزال يكـــون حتى اليوم في بعض الحضارات البدائية مضمون الفكر والعقيدة.(1)

ورغـــم الـــتطور الحضاري و الثقافي و العلمي إلاّ أن التفكير الخرافي لا يزال ســـائدا في مجتمعاتنا، و لا يزال الناس يحسبون ألف حساب لتلك العادات المستمدّة من الأساطير و الخرافات، و يخافون تركها، إعتقادا في الفال أو التطيّر.

4-النّوع والنسبة :

تخـــتلف العادات و التقاليد بإختلاف ثقافات الشعوب، و قد رأينا في الفصل الأوّل مـــن هـــذا العمل كيف أنّ الثقافة نسبيّة، وكذلك مختلف ملامحها ومحتوياتها فلكل مجتمع طرقه الشعبية و عاداته الإجتماعية التي تنسجم مع قيمه و معاييره من ناحية الخير و الشرّ، و الصوّاب و الخطأ، و ما هو مستحبّ و ما هو مكروه، و لذلك فالعادات التي يراها مجتمع عادية و طبيعية قد يراها آخر شاذّة و ضارّة، وقد عبرّ عن ذلك " محمّد المويلحي في حديث عيسى بن هشام بقوله (2) : "ولا يتحـــتّم أنّ ما يكون ذا نفع عند الغربيين، يكون له نفع عند الشرقيين و الشواهدّ كـــثيرة جمّة على أن ما يكون في باريس حسنا يكون في برلين قبيحا و إن ما يكون في لوندرة حميدا يكون في الخرطوم ذميما، و مّا يكون في رومية حقا يكون في مكة باطلا، و ما يكون عند الغربيين جدّا يكون عند الشرقيين هزلا ".

(1)- فرودريش فون ديرلاين، الحكاية الخرّافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، الطبعة 1، بيروت، دار القلم، 1973 الصفحة 09،10.

(2)نقلا عن فوزية دياب، المرجع السابق، الصفحة 132.

وقـــد أوضـــح "رودي يارد كيبلنج" في روايته الطريق إلى الهند (Road to India) تلـــك النسبيّة الموجودة في العادات و التقاليد، و كيف أن أنظمة السلوك السائدة في الغرب، تختلف عن تلك السائدة في الشرق.

ومـــن أمـــثلة العادات والتقاليد المستحبة عند أهلها والغريبة عنا بل أكثر من ذلـــك تـــثير التقززّ في أنفسنا، نذكر عادة أكل الديدان المجففة وهي عادة شائعة في صـــحاري ليبـــيا ويعـــرف الأهالي الذين يقومون بإصطياد الديدان من المستنقعات وتجفيفها باسم "الدّوادّة" ووضح هؤولاء بأنّ لهذه الأكلة المحبّبة فوائد صحية كثيرة إذ تبعد أمراض السكر والقصور الكلوي والقلب وغيرها*.

ولا تخـــتلف الأقـــوام في طـــرقها وعاداتها من ناحية ميولها لأنواع الأطعمة فحســـب، بل تختلف أيضا في طرقها من حيث كيفية إعداد الطعام وطهوه، وتختلف إخـــتلافا كبيرا في أشكال الزوّاج وتحديد العلاقات الجنسية، وتربية الأطفال والملبس وغيرها.

ففـــي مـــنطقى ســـيدي بلعـــباس، تنتشـــر عادة امتناع تدخين الإبن أمام والديه، وذلك احتراما لهم ووقارا، في حين يستطيع الشاب، في منطقة بشّار أن يفعل ذلك دون أي مانع. وهكذ تختلف الأعراف والتقاليد من منطقة لأخرى.

5-الرغبة في التمسك بها :

من مميزات العادات الإجتماعية أنها في مجموعها محببة إلى الناس ومرغوب فيها، ويرجع ذلك إلى تلقائيتها وشعور الأفراد بضرورتها لتعاملهم بعضهم مع بعض ولصلاح حالهم وإستقـــرارهم، كـــما يرجـــع أيضـــا إلـــى عمليـــة التنـــشئة

(1)- نقلا عن فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 132.

(*)- المعلومة أخذتها من حصة تلفزيونية تبثّ أسبوعيا في القناة الفرنسية الثانية، بعنوان مبعوث خاص، Envoyé Spécial، التي أجرت ربرتاجا مطولا عن "الدوادّة" في صحراء ليبيا.

الإجتماعـــية الـــتي تهدف إلى تشكيل الأفراد على الصورة التي يرتضيها المجتمع وتهيـــئهّم لتقـــبّل الظواهر الإجتماعية السائدة فيه حتى يتوافق بعضهم مع بعض فيتماســـكوا وتقوى وحدتهم، لذلك تلجأ عملية التنشئة الإجتماعية إلى ترويض الأفـــراد منذ نعومة أظافرهم على تقبل العادات الإجتماعية السائدة ومن أقوى الوســـائل في تثبيـــت العـــادات الإجتماعـــية مساندتها بالقيم وربطها بالمصالح النفعـــية، وتزويدها بعناصر جزائية مختلفة إلخ . . . و من يخرج عليها أو ينحرف عليها لا يتعرض لعقوبات القانون، بل إلى عقوبات الرأي الجمعي بمختلف أنواع التحقير الإجتماعي كالإستهجان والسخط والسخرية.(1)

و في هذا يقول " ماكيفر و بيج " (2) إذا نظرنا لمظاهر السلوك العام لا مـــن حيث كونها معايير للسلوك وإنما كأدوات تنظيمية، فإننا نتصورها في هذه الحالـــة كآداب عامة فكل عرف إجتماعي، وكل مظهر من السلوك العام ، هو بدرجـــه ما وسيلة للضبط الإجتماعي وحتى أبسط قواعد السلوك أو أتفه مظاهر التقاليد تصاحبها فكرة كونها السلوك الأمثل (...) إنها تعبّر عن مستويات الزمرة وما تراه هذه الأخيرة من تصرفات ملائمة وسليمة ، ومؤيدة لسعادة المجموع."

هذا ومن الملاحظ أن أفراد كل مجتمع يعتقدون أن عاداتهم أو طرقهم الشعبية خير و أفضل من المجتمعات الأخرى وقد ذكر هيرودوت فيما ذكر " أنه لو طلب من كل شعوب العالم أن تختار العادات التي تبدوا أكثر ملائمة لها، لإختار كل منهم بعد البحث والتدقيق عاداته هـــو "فكل فرد بعادات قومه

(1)- فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 133 .

(2)- ماكيفر و بيج، المرجع السّابق، الصفحة 41 و مابعدها.

معجـــب ومعتد بل إننا نجد أفراد كثيرين من المجتمعات يتعصبون لعاداتهم وتقاليدهم تعصبًا يجعلهم يعتقدون أنها جديرة بالتقدير بل و التقديس أيضا والتعصّب على هذا الشـــكل يعرف عند الإجتماعيين بظاهرة Ethnocentrisme وقد أوضح "سمنر"معنى هذا المصطلح حيث قال أنه " الإصطلاح العلمي الذي يطلق على تلك النظرة للأمور الـــتي تجعـــل جماعة الشخص مركز كل شيئ، وأن كل الجماعات الأخرى تقدّر و تقـــوّم وترتّـــب بالقياس إليها (1)، و هذا هو السبب الذي مجدّ من أجله "جوبينو Gobineau " العنصـــر الآري في مقال له عن "إختلاف أجناس البشر، فتشدّق بنقاء الآرية و أصالتها و عبقريتها".(2)

والتاريخ مليئ من هذا التعصّب للإنتماء لثقافة أو لجنس من الأشخاص.

وظائف العادات الاجتماعية :

لعل من أبرز وظائف العادات الإجتماعية، أنها تسهّل على الناس أمور حياتهم، ولذلك يقال عنها :إنها إقتصادية في نتائجها لأنها تختصر الوقت وتقلل الجهد العقلي والنفسي الذي يبذل في التفكير في تفاصيل كل فعل يتكرر حدوثه مما جعل علماء النفس يقولون بأن مسايرة العادات عملية رخيصة نفسيا ...ويضيف " أرنولد جرين" (3) : "أية فوضى شاملة تكون عليها الحياة البشرية الاجتماعية، إذا اضطررنا كل يوم إلى تسوية الخلافات وحسم المناقشات التي تحتدّم حول أمور حياتنا اليومية كتحديد عدد الوجبات التي يجب أن نأكلها وفي أية ساعة من ساعات الليل أو النهار نتناولها وغير ذلك فالعادات الاجتماعية هي المصابيح الهادية التي ترشد الفرد وتهديه إلى التصرف، المتوقع منه في مجتمعه وفي حياته بوجه عام."

(1)فوزية دياب، نفس المرجع السابق الصفحات 133 و136.

(2)قباري محمد إسماعيل، نفس المرجع السابق، الصفحة 156.

(3)- نقلا عن فوزية دياب المرجع السابق الصفحة 144.

وبالـــتالي فهـــي تحدد كثيرا من سلوك الفرد إنها الجهاز الآمر الناهي، في المجـــتمعات، ومهمـــته الظغط على كل عضو في المجتمع كما تعمل على إدماج الفـــرد في المجموع فإذا كانت تمارس الضغط على الفرد من جهة، لكي يتماشى مـــع أساليب مجتمعه أو طبقته الاجتماعية أو نوعه ذكرا كان أم أنثى فإن الفرد مـــن جهة أخرى و باكتسابه لاندماجه داخل الجماعة يحفظ الروابط الاجتماعية الـــتي لابـــد مـــنها للمعيشـــة الهانئة، كما تعتبر الوسيلة المثلى لحماية التضامن الإجتماعي وكل زمرة تتوق إلى زيادة تضامنها تسعى إلى أن تقوي تأثير الأداب العامة في أعضاء الزمرة.(1)

وبالإضـــافة إلى كل هذه الوظائف هناك الوظيفة الجمالية التي تتجلّى في الشـــمائل الحســـنة و أداب الســـلوك الائقة التي يتبعها الأفراد في مناسبة معينة وبأساليب محددة.

أنواع العادات الاجتماعية

يـــتفق كثيرا من الإجتماعيين على تقسيم العادات الإجتماعية إلى طائفتين إثنتين وهما :

أولاً: طائفة العادات القديمة.

ثانيا: طائفة العادات الجديدة والمستحدثة.

(1) ماكيفر وبيج، المرجع السابق الصفحة 41 وما بعدها.

وإن إختلف البعض من أمثال "سابير" على وصف هذه العادات والتمييز بينها على أساس الدوام والإستمرار فهو يعتبر العادات القديمة أعراف دائمة والعادات المؤقّتة هي الموضات، وعلى أية حال فالعادات التقليديّة أو الأعراف الدائمة هي التي تهمنا أكثر من غيرها في هذا المقام، ويوضح "سابير" تلك الظلاّل الطفيفة والفروق ما بين أنواع الأعراف الدائمة فيقول (1) : " إننا نستعمل كلمة العرف للتعبير عن السلوكات السائدة في وسطنا الاجتماعي والتي تقع في منتصف الطريق ما بين العادات الشخصية والمؤسسات الاجتماعية، ومع ذلك فإننا نطلق كلمة عرف على تدخين السجائر ولا نطلقها على حكم محكمة مثلا وذلك بالرغم من أننا لو إطلعّنا على الحضارة البابلية أو الصينية الحديثة أو حياة قبيلة أسترالية بدائية لوجدنا بأن المؤسسات التي تقوم بإصدار الحكم.

كما يحدث في المحاكم لدينا هي نفسها قائمة ومنصبّة بواسطة الأعراف، إن التردّد الذي يقودنا لإطلاق كلمة عرف في مجتمعاتنا على السلوكات الإجتماعية والخالية من معاني هامة، ربما أساسه إرادتا في التنوية بالدور الأساسي للفرد، وهذا ما يجعلنا نقول "العادات" بدل "الأعراف" أو التنوية بدور التنظيم العاقل الجماعي وفي هذه الحالة، فالأنسب هو كلمة تنظيم أو المؤسسّة Institution وحسب سابير دائما، فكلمة عرف غالبا ما تستعمل كمرادف لكلمة تقليد أو إتفاق أو سنن، ولكن وقع هذه الكلمات على السمع ومعناها يختلف، فكلمة إتفاق Convention تركز على غياب الضرورة في نمط السلوك وتعني غالبا بأننا نعترف بشكل ضمني أو صريح بأن بعض أنماط السلوك نتبنّاها لأنها تليق أكثر من غيرها.

(1)- EDWARD Sapir, IBID Pages 113-114.

وكلما كانت وظيفة العرف رمزية وشائعة كلما اعتبرناها إتفاق، فالعرف هـــو أن نكتـــب بالقلم أو الميداد ولكن الإتفاق هو أن نستعمل نوعا محددا من الـــورق في المراسلات الرسمية مثلا، في حين أن التقليد يركز على البعد التاريخي للعـــرف في حـــياة الجماعـــة، فلا يخطر أبدا على بالنا أن نعيب على جماعة ما افـــتقادها للأعـــراف والاتفاقـــات ولكـــن إذا مـــا كانت أعرافها أو اتفاقاتها مستحدثة، فقد نعتبرها بدون أعراف، أما كلمة سنن فهي أنسب كلمة تستعمل للتميـــيّز بـــين أنمـــاط السلّوك المستحبّة وتلك المكروهة فسنن شعب ما هي إلاّ أخلاقـــياته في الأفعال ويبقى صعبا التمييز علميا وبدقة بين الكلمات، أعراف، إتفاقـــات، تقالـــيد، و سنن، و كل هذه الكلمات في نهاية الأمر هي عبارة عن عادات اجتماعية أو أنماط ثقافية.(1)

وقبل التطرق بدقة إلى أنواع العادات التقليدية والعادات المستحدثة، نشير إلى تعريف العادة والتقليد والعرف عند "على الزيّن" حيث يقول (2) : "لا شك أن كل حركة أو فعل أو قول يبدر من أي شخص ثم يتكرر منه أو يعاد في كل مناســـبة يصـــبح بالنسبة لهذا الشخص عادة ثم يصبح تقليدا لمن يحاكيه في ذلك وخصوصـــا حين يكون المقلد لهذه العادة مقلدا بالوراثة عن سلفه من الأصدقاء والأجـــيال المتعاقبة ثم حين يجمع على هذه العادة وهذا التقليد الجمهور من أبناء الجـــيل والقبـــيلة والإقلـــيم تصبح هذه العادة أو يصبح هذا التقليد عرفا بنظر الجمـــيع، وعلـــيه فـــلا فـــرق بـــين العادة والتقليد والعرف إلا بالاعتبارات والنســـبّ، عـــلى أن العـــرف لا يكون عرفا إلا بالأمور المعقولة والحسنة بينما تتغلغل العادات في الأمور الحسنة والأمور السيئة والممقوتة."

(1)- EDWARD Sapir, IDEM.

(2)- علي الزين، العادات و التقاليد في العهود الإقطاعية، الطبعة 1، دار الكتاب اللّبناني بيروت، دار الكتاب المصري القاهرة، 1977، الصفحة 07.

فلفظ التقليد يحمل في معانيه القدم، والمحافظة وفي اللّغة العربيّة نقول :

قلّده إيّاه أي جعله قلادة فيه أي أعطاه إيّاه، ويقابله في الفرنسية Traditions مشتقة من الفعل اللاتينيTrader، الدّال على التسليم والإعطاء، وبذلك يكون معنى Traditionsأي تقاليد "ما تنوقل من السلف إلى الخلف، ويعرفها "لندبرج Lundberg" "بأنّها الذكريات والتقّارير الشفهيّة للعادات والأعراف القديمة، والتجارّب الماضية المشهورة التي مرت بالجماعة"، وهي تنشأ من الرضا والإتفاق الجمعي بين أعضاء الجماعة فهي تستمدّ قوتها من قوّة الرأي الجمعي أو الروح الجماعي كما يقول "دوركايم" وتمارس ضغطا شديدا على الفرد الذي هو عضو في الجماعة.(1)

ولأنهـــا تنطوي على فكرة كونها السلوك الأمثل والأصّح فهي قادرة على الـــدّوام والإســـتمرار ومع هذا إلا أنّنا إذا ما تأملنا التاريخ وحياتنا اليومية فنجد العديد من التقاليد قد إندثرت وقامت محلها تقاليد أخرى مغايرة.

فـــإن كانـــت العادات والتقاليدّ قد منعت إدوارد السابع من الزواج من أمريكـــية مطلقة سنة 1936 وقد دفعه ذلك للتخلي عن العرش من أجل الزواج منها نجد اليوم الرأي العام النرويجي والأسرة الملكية قد تقبلا زواج ولي العهد مع إمـــرأة عاديـــة أم عزباء لطفل ذي أربعة سنوات ، وهذا رغم إعترافها أمام الملأ بواسطة وسائل الإتصّال الجماهرية بخطاياها المرتكبة في الماضي.(2)

(1)- فوزية دياب، المرجع السابق، الصفحة 157.

(2)PARIS MATCH N° 27 DU 06 SEPT. 2001 PAGE 17.

وقـــد تنبه إبن خلدون إلى سنّة التغيير في أحوال الأمم إذ كتب يقول في المقدمة (1) : "وهو داء دوي شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة وـــله، فـــلا يكـــاد يـــتفطن له الآحاد من أهل الخليقة، وذلك أن أحوال العالم والأمـــم، وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو إخـــتلاف على الأيام والأزمنة، وإنتقال من حال إلى حال وكما يكون ذلك في الأشـــخاص والأوقـــات والأمصـــار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول.

ونجـــد "ريتشـــارد بهـــرندت" Richard Behrendtt يتحدث عن التغيير فـــيقول: (2) "قد لا نتعرّف على ملامح ثقافتنا، إذا ما عدنا إلى بلدنا بعد طول غـــياب، إذ نجد أن نوعا من الإنحراف الإجتماعي قد حدث وأن رياح التغيير قد أخذت أرضية التقاليد في تيارها "ورغم هذا إلا أن الميل العام للناس هو المحافظة عـــلى تقالـــيدهم، ذلك أن التجديد يحمل معه عنصر المغامرة وإحتمالي النجاح والفشـــل عـــلى قـــدر الســـواء، في حين أن القديم هو ماضي والماضي ملك للإنســـان، فليس كالمستقبل مجهول ومخيف ولهذا تمتاز التقاليد بأنها عادات مريحة لأنهـــا تعطـــي الـــناس شعورا بالأمن والطمأنينة وهذه السمة المحافظة للعادات والتقالـــيد نابعـــة مـــن طبيعتها كعنصر من عناصر التراث الثقافي، وكونها تمسّ عواطـــف الـــناس العمـــيقة، ومشاعرهم ومعتقداتهم وهناك كثير من الأمثلة في الـــتاريخ تـــبرز صمود العادات والتقاليد أمام كل ما هو خارج عنها أو جديد عليها.

(1)-نقلا عن فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 160.

(2)- Richard. F. Behrendt, IBID. page 75.

ففـــي الجزائر مثلا، نجد مدن وادي ميزاب في قلب الصحرّاء الجزائرّية، التي تتمـــيّز بنظامها الإجتماعي الدّقيق وعادات وتقاليد أهلها وطراز عماراتهم وتخطيط مدنهم كأنّنا نطّل على القرن الخامس الهجري، ونجد أحد صحافيي مجلة العربي يقول في ربـــرتاج لـــه عن المنطقة (1): "قد حافظ أهل مزاب على عزلتهم مدّة طويلة كمجوعـــة مـــتلاحمة فخـــورة بـــتاريخها، وبعـــد ســـقوط الجزائر أمام الإحتلال الفرنسي، وعند ما وصل الفرنسيّون إلى الأغواط، البوّابة الشمالية لميزاب، بعث أبناء مـــيزاب وفـــدا إلى الأغواط، وهناك عقد الوفد مع الجنرال "الكونت دي راندون" إتفاقية عام 1852، وضع بمقتضاها الوادي تحت الإحتلال مع الحفاظ على نوع من الحكـــم الـــذّاتي وأن يستثني أبناء الوادي من الخدمة في الجيش الفرنسي، أمّا اليوم فتشهد مزاب، تغيـــرا كبيرا، فريّاح التغيير عاتية لا يمكن مقاومتها وما شاهدته في مـــزاب يثبت أنّه لم يعد ممكنا في هذا العصر–ومع التقدّم الهائل في وسائل الاتصال– أن يـــتمكّن مجتمع من الحفاظ على عزلته حتّى لو كان في قلب الصحرّاء ويتمرّس وراء مذهـــب تدعـــو ظروفه التاريخّية إلى التمسك بكّل ما تركه الآباء، وهاهو ذا الكـــثير مـــن معـــالم الماضي يتغيرّ، فمثلا وسائل حفر الآبار الحديثة وفّرت المياّه، وأصبحت البلدة تحتاج إلى شبكة صرف حديثة و لم تعد الجلسة في الغابة كما كانت بعد أن تزايد البعوض، وأصبح طراز البيوت القديمة مهددّا بإقامة مكان للسيارّة ممّا وضـــع أمام رجال الآثار صعوبات كبيرة للحفاظ على آثار وطابع ميزاب، وقفزت إلى الســـطح مشاكل التغيير المختلفة، فمثلا المدارس الحكومية الإلزامية التي تنتشر في كل أنحاء الجزائر، مدارس مختلطة تضّم البنين والبنات، ويصرّ أهل الوادي على منع الفتيات الصغيرات من الذهّاب إليها."

(1)– مصطفى نبيل، " عالم مزاب المسحور، رحلة إلى الصحراء الجزائرّية "، العربي، العدد 286 الصادر بتاريخ سبتمبر 1982، الصفحة 106.

هذه الخاصية الإستقرارية للعادات والتقاليد هي التي جعلتها عرضة للنقد من طرف بعض المفكرين من أمثال "جون ديوي الذي يقول عنها أنّها (1) : "غمامات تحجب عيون العقل وتحصرها في نطاق رؤية الطريق القدامىّ، إنّها تحول بين التفكيرّ وبين أن يشرّد أو يضّل بحيث لا يحلّق في مجال أكثر تنوعا وأوفر بهاء وبهجة ولكنّه لا يلائم الواقع وخارج نطاق العادات، فإنّ التفكيرّ يتلمس طريقه عيّانا متسكّعا متعثرّا في عمه وتخليط وتخبطّ، ولكن على الرغم من ذلك كلّه فإنّ العادة عندما تصبح نسقّا مطردا رتيبا فإنّها تغلق الباب في وجه التفكيرّ وتصدّه لدرجة أن الحاجة إلى التفكيرّ تكاد تنعدم أو تصبح غير ممكنة."

وإذا ما أردنا التوغّل قليلا في العلاقة التي تربط التقاليد بالجماعة، نجدها شبيهة بالعلاقة التي تربط الثقافة بالجماعة، إذا أنّ التقاليد لا تعدو أن تكون عنصرا من عناصر الثقافة، ومحتوى من محتوياتها فهي تمدّ الأفراد بأنماط سلوك جاهزة ومتفق عليها، ولكن هنا تجدر الإشارة إلى مكانة التقاليد في المجتمعات التقليدية أو البدائية كما يصفها بعض المفكرين وتلك المكانة التي تحظى بها في المجتمعات الحديثة و يقول "ريشارد بهرندت" عن تفكّك الجماعات التقليدية."(2)

إنّ التطورّ التكنولوجي والاقتصادي والنمو الدموغرافي للسكان وتقدّم العلوم والطبّ الذي ساعد على ذلك، كلّها عوامل ساعدت على تفكك المجتمعات التقليدية والتي كانت في سنوات مضت المؤسسات الأساسية

(1)- قاموس جون ديوي للتربية، المصدر السابق الصفحة 142،143.

(2)- Richard F, BEHRENDTT, IBID Page 71.

للتثقـــيف، وأمام هذه التغيّرات إختفت العائلة العريضة التي تضّم أفراد الأجيال الأربعـــة وحلّت محلّها الأسرة النوويّة وإنتقلت من إقتصاد الإكتفاء الذاتي لتصبح مجـــرّد أســـرة مستهلكة، وأصبح مركز العمل خارج نطاق الأسرة بعدما كان بداخـــلها، والتربـــية التي كانت تنقل للأجيال داخل الأسرة العادات والتقاليد أصبحت من مهام المدارس التي كثيرا ما تنقل للأجيال رؤى ومفاهيم ومبادئ قد تختلف عن تلك التي تتناقلها الأسر."

فالمجـــتمعات التقلـــيدية أكـــثر تمسّـــكا بالتقاليد من المجتمعات الحديثة المصـــنعة، وقـــد ذهب بعض الاجتماعيين العرب إلى حدّ وصف القرى بمعاقل التقليد أمام مراكز التحديث أي المدن (1) ويتساءل "مالينفسكي" عن الأسباب الـــتي تجعـــل الإنسان البدائي يطيع قواعد السلوك السائدة في مجتمعه حتى وإن كانـــت قاســـية ومزعجة، وطبيعة القوّة التي تضمن سيطرة النظّام في المجتمعات البدائـــية ثم يتوصل من خلال أبحاثه الميدانية إلى أنّ البدائي له ضعف وطاعة آلية عمـــياء للعـــادات والأعراف وأحكامها عليه، بدون وعي منه وبتلقائية مقرونة بـــالخوف مـــن نـــتائج خروجه عن النظام العّام السائدّ في المجتمع والخوف من العقاب وفي نفس هذا السياق يقول "سيدني هارتلند."(2)

"إنّ البدائي ليس هو ذلك الكائن الحرّ الذي تخيله جون جاك روسو، بل بـــالعكس إنّه مكبل من كلّ الجوانب بأعراف وعادات مجتمعه، إنّه مقيدّ بتقاليده في حياته الإجتماعية وفي ديانته وطرق تطبيبه، وصناعاته، وفنونه و في كل مظهر

(1)- سيّد محمّد الحسيني و آخرون، دراسات في التنمية الإجتماعية القاهرة، الطبعة 4، دار المعارف، ص 369.

(2) – B. MALINOWSKI, Trois Essais sur la vie sociale des Primitifs, paris, payot, 1Er Edition française 1933 P.11-12.

مـــن مظاهر حياته، إنّه يتقبّل قانون الأعراف والعادات والتقاليد بشكل عفوي دون البحـــث عـــن إمكانـــية الخروج عن نطاقها أو تكسيرها فهو مجبول على طاعاتها بشكل فطري."

فقوى العادة وإحترام توصيات التقاليد والرغبة في إرضاء الرأي العام والإرتباط العاطفي بالتقاليد كلّها أشياء تساعد على طاعة الأعراف كما هي ولذاتها، وفي هذا يضيف "مالينفسكي" (1): "لا يختلف البدائي كثيرا عن أفراد أيّة جماعة منغلقة على نفسها، ذات آفاق محدودة، سواءا كانت "قيـــتو" في أوربا الشرقية أو مدرسة في "أكسوفورد" أو غير ذلك، كما أضاف بأنّ الإعتقاد الواسع في الجزاء الماورائي والخوف من فقدان محبّة الأقارب، عوامل تخلق جوّ من الرعب يكفي للتحذير من إختراق الأعراف السائدة في القبيلة.

وقـــد قام "هرتلند" بدراسة الجزاء عند البدائيين، ويشترك في هذه الآراء أيضا "موس ودركايم" الذين أضافا بأن المسؤولية والإنتقام كلها إنفعالات تقوم عـــلى نفســـية الجماعة وليس على نفسية الفرد وقد سبق وأن ذكرت أن فكرة الإنصـــياغ وراء التقاليد تنضوي على مبدأ الجزاء الاجتماعي الذي قد يتراوح ما بين مجرد التهكم والإستهزاء إلى حد النبذ الذي يعتبر أقصى أنواع هذا الجزاء.

وهناك أمثلة كثيرة عن أهمية تطبيق الجزاء على من يخرج عن الأطر التي تضعها تقاليد الجماعة، فيقـــول صحافي في ربرتاج آخر عـــن منطقة واد مزاب

(1)- B. MALINOW SKI, I BID Pages 39.43.

وأهلها وتقاليدها، (1):"... ولكن ماذا يحدث لمن يخالف تعاليم مجلس الغرابة* ؟ النـــبذ الاجتماعي، نوع من السجن غير المرئي يحيط بالمذنب، برغم أنه لا يوجد في الوادي سجن بالمعنى الواقعي، إن إمام المجلس يقف أمام المصليين ويعلن التبرّء مـــن كل من يخالف التعاليم أو يرتكب جرما أو يقترف سرقة أو يظلم زوجة أو يأكل مال يتيم أو يغش في بضاعته أو يخون أمانة.

وهكذا يتم الإعلان على رؤوس الأشهاد أن المسلمين كلهم براء منه فلا يجالس ولا يشارك في فرح أو في مأتم ولا يقبل البيع أو الشراء منه وأحيانا ينفي خارج القبيلة إذا كان سارقا وتكرر جرمه، ولا يعود قبل أن يشهد شهود عدول أنه سار حتى رأى البحر، و إذا مات المذنب قبل توبته لا يشرف مجلس الغرابة على غسله ودفنه ولكن يوكل أحد العوام للقيام بذلك، والذي يشعر بأن هناك ظلما واقعا عليه يذهب إلى المسجد ليمنع المصلين من الصلاة قبل أن يأخذوا له حقه أو يتعهدوا بذلك "وفي نفس هذا السياق يذكر الكاتب الغجري "ماتيو ماكسيموف" واصفا العقاب "يكفي بناءا على أمر القبيلة، أن تقطع إمرأة متزوجة قطعة من ثيابها، وترمي بها على رأس الرجل المحكوم عـــليه بالعقاب، فيجد هذا الشخص نفسه، في التوّ واللحظة، قد طرد من القبيلة كلّها نهائيا وإلى الأبد فلا أحد مطلقا يفكر في أن يكلمه بعد ذلك، كما لا يفكرّ أحد أن يدعوه لـــتناول الطـــعّام عـــنده، وإذا لمـــس شيئـــا، فـــإنّ هذا الشيء (بناءا على ما

(1)- محمد المنسي قنديل، "وادي ميزاب، تراث جزائري حي"، العربي، العدد 445 ديسمبر 1995 م، الصفحة 135.

* مجلـــس الغرابة : هو عبارة عن مجلس مكون من إثنى عشر 12 شخصا، يحتلون مكانة الإمام الأعظم، و يختارون من بـــين الأصـــلح و الأكثر ورعا من العشيرة، يفتون شؤون العشيرة و يسمى بالغرابة ، أي الذين غربوا عن الدنيا بما فيها من أطماع شخصية ووهبوا أنفسهم لخدمة الآخرين و مقرّ هذا المجلس في وادي ميزاب.

يأمر به عرف القبيلة) يجب أن يحطّم أو يحرق مهما كان ثمينا وقيما، وهكذا نجد أنّ كـــل فـــرد في القبـــيلة يتجنّب هذا الآثم، ويفرّ منه، أكثر ممّا يتجنب السليم الأبـــرص، ولا يجرؤ أحدا في القبيلة كلّها أن يقتله ليضع حدّا لمصيبته وينقذه من قســـوة هذا التعذيب، فإنّ مجرّد الإقتراب منه، كلّ التلويث والتدنيس لمن يفعل ذلك وإذا مات فلا يعيره أحد أيّة أهمية، ولا يفكرّون في دفنه أو تشييعه إلى مثواه الأخير والعجيب في الأمر أن للغجر قدرة مدهشة على نسيان مثل هذا الشخص الملعون والمغضوب عليه."(1)

ولترســـيخ هـــذه التقاليد داخل النفوسّ في الجماعات تعتمد هذه الأخيرة عـــلى عـــدة أساليب مثل الشعائر والرموز والاحتفالات العامة، وسوف نتطرق بشيء من التفصيل إلى كل أسلوب من هذه الأساليب.

الأساليب المؤيدة للتقاليد :

أ- الطقوس أو الشعائر:

من أهم الأساليب المؤيدة للتقاليد، الشعائر، والرموز والإحتفالات وطائفة أخـــرى مـــن الوســـائل تتمثل في المعتقدات الشعبية الدارجة والحكم والأمثال والأساطير والقصص والأغاني.(2)

وكـــثيرا ما تستعمل الكلمات، شعائر طقوس ومراسيم للتعبيّر عن نفس المعنى، وإن كان هناك ميل لإستعمال كلمة شعائر، للتعبير عن السلوكات التي

(1)- د.فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 210.

(2)- د.فوزية دياب، المرجع السابق، الصفحة 176.

لهـا علاقـة بالدين وكلمة المراسيم خاصة بالمظاهر الرسمية، والطقوس للتعبير عن السـلوكات الخاصـة بأحداث منتظمة الوقوع في حياة الفرد كالميلاد والزواج والوفاة.

والشـعائر، هي سلوكات رمزية أو دينية يفترض فيها إعطاء القوة للناس عـلى إسـتعمال قـوى مـا ورائية للتحكم في ظواهر طبيعية كالمطر وموت العـدو، والشـفاء إلى غير ذلك. وقد عرفها فرويد على أنها فن السحر، مؤكدا على تعقيده وفعاليته في المجتمعات البدائية على الخصوص.(1)

وأحـيانا تسـتعمل الشـعائر والطقـوس للدلالة على نفس المعنى وهي أيضـا كمـا يعرّفها علماء الأنثربولوجيا الإجتماعية (2) هي مجموعة حركات سـلوكية مـتكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسـب مع الهدف أو الغاية التي دفعت الفاعل الإجتماعي أو الجماعة للقيام بهـا، وللإصـطلاح "طقـوس" ثلاثة إستعمالات مختلفة الإستعمالان الأولاّن يؤكـدّان على الطبيعة الرمزّية للطقوس، أمّا الإستعمال الأخير فيعرّف الطقوس مـبرزا العلاقـة بـين الواسطة والغاية التي تكمن في السلوك الإجتماعي، وتبعا لـلمعايير الطقوسـية فإنـنا نشاهد إستعمال الطقوس في التصرفات السحرية والدينـية وفي بقـية أنـواع التصرفات التي تقرها العادات والتقاليد الإجتماعية السـائدة في المجتمع، ويقول البروفسور " أم دوكلاس" "بأن الطقوس تحل محلّ الديـن في معظـم النظريات والكتابات الأنثروبولوجية طالما أن المقصود بها هو التصرفات الرمزية المتعلقة بالأشياء والكائنات المقدسة للشعوب البدائية."

(1)-CHARLES. HENRI FAVROD, L'Anthropologie, Encyclopédie du Monde Actuel - 1977. P178.

(2)- دنكن متشل، المصدر السابق، الصفحة 176.

والطقوس حسب آراء "راد كايف براون" هي حدث رمزي يعبّر عن قيم إجتماعـــية مهمـــة، ويقوم العالم "كودي" بتحليل الطقوس عن الطريق دراسة العلاقـــة بين واسطة وغاية الفعل الإجتماعي، فيقول بأنّ الطقوس هي نوع من أنـــواع السلوك ذي المقاييس المتوازنة والتي لا تكون العلاقة بين واسطته وغايته جوهـــرية، أي أن العلاقـــة بين واسطة وغاية السلوك الطقوسي هي علاقة غير منطقـــية ولا عقلـــية والسلوك الطقوسي يتمثل بالحدث السحري أو العادات والتقاليد والأعراف الإجتماعية التي يعبّر عنها بالرموز السلوكية (1)، ....

وفضـــلا عن مجموعة الطقوس الواجب مراعاتها عند الوفاة أو الخطبة أو الـــزواج مثلا، فنجد كثيرا من الطقوس التي تحظر القيام بأعمال أو حركات، أو الـــتفوّه بعبارات أو كلمات معينة وهذه الطقوس أو الشعائر تعرف بالمحظورات الشـــعائرية أو الشـــعائر السلبية كعدم البكاء في مناسبات البهجة وعدم تناول الطعـــام في مناســـبات الحـــزن، وتجنب ذكر إسم المتوفي حديثا، وتدخل هذه الشـــعائر في طائفة المحرّمات " Tabous "وهي تتضح بشدّة في المجتمعات البدائية والريفية المنعزلة، حيث يشتد الإعتقاد في السحّر * وفي قوى غيبية غريبة.(2)

وهنا يظهر لنا بأن الطقوس مرتبطة إرتباطا وثيقا بالإعتقادات السائدة في المجتمعات.

(1)- نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(2)- د. فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 178-179.

(*)- فمن الطقوس المنتشرة في منطقة سيدي بلعباس، عند الوفاة مثلا، وبعد أن يغسل جثمان الميت، يوصي عادة بعدم رمـــي الماء، الذي غسل به، بل تجفيفه بالمنشفة، من طرف أفراد أسرة الميت، و يمنع الغرب عن القيام بذلك، إذ يعتقد بأنـــه يســـتعان بذلـــك الماء من أجل القيام بالسحرّ والشعوذة ضد أفراد عائلة الميت، كما ترمى المنشفة، و الصابون والمشط في مكان بعيد، لا يعرفه أحد.

ب-الرمـوز:

لقـــد رأيـــنا في الفصل الأوّل كيف يعتبر"لسلي هوايت" بأنّ الثقافة هي تنظيم خاص من الرموز وأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع فهم وفك هـــذه الـــرموزّ والـــتعامل عـــلى أساســـها، وهو ما يميزه عن باقي الكائنات الأخـــرى، فهـــو له قـــدرة فائقة على التعلم من خبراته ونقل هذه الخبرات إلى الأجيال اللاحقة بواسطة الرموز وأولّها اللغّة.

"فاللغـــة كانت أداة الرسالات السماوية، والمذاهب الدنيوّية والمعاملات الإنسانية حتى شتى درجاتها ومستوياتها، إنّها "العملة" الأبدية الأزلية المتداولة بين الـــنّاس جميعا، وإذا كانت الآية الكريمة تقول "و خلقنا من الماء كل شيء حي" فاللغـــة خلقـــت مـــن الحضارات والفنون والعلوم كل شيء حي، اللغة أقامت حضارات وماتت مع حضارات، وملأت صفحات سعتها بالقرون."(1)

ورمـــوز كـــل جماعـــة إنسانية، تعكس نمط حياتها وأساليب سلوكاتها وأفكارهـــا وآرائها ويقول "ماكيفر وبيج" في كتابهما "المجتمع" بأنّ الرموز" (2) هـــي تمثيل لمعنى من المعاني أو قيمة من القيم والرمز علامة خارجية أو إماءة تنقل عـــن طـــريق الـــتداعي، فكـــرة أو تســـتثير شـــعورا وأي إتصال يحدث بين الأشـــخاص، ســـواءا كان عن طريق اللغة أم عن طريق آخر غيرها، لا بدّ أن يستخدم الرموز، ومن النادر أن يستطيع المجتمع أن يعيش بدونها."

(1)- أحمـــد بهـــاء الديـــن،" اللغـــة العربـــية حين نريدها سلاحا سياسيا و إستراجيا و حضاريا"، العربي العدد 278 الصادر بتاريخ يناير، 1982، الصفحة 07.

(2)- ماكيفر وبيج ، المرجع السابق الصفحة 304.

و إلى جانـــب الرموز اللغوية، يمكن ذكر رموز أخرى كالخواتم التي تقدم في الخطـــبة، الشـــارات التي تعلّق على ملابس العمال، الحركات الإصطلاحية المختلفة أسلوب كتابة براي وحركات الصم والبكم، وغيرها مما يعطي لأعضاء الجماعة إحساس بالإنتماء والتماسك داخل وحدتهم الجماعية.

ج- الإحتفالات العامة :

يـــنظر إلى الإحتفال العام منذ القدم على إعتبار كونه وسيلة فعالة لتأييد النظام الإجتماعي.

والشـــعائر هي أهمّ ما يميز الإحتفال الرسمي العّام الذي يحضره جماعة من الـــناس وكـــثيرا ما تعتبر الشعائر والإحتفال المصاحب لها شيئا واحدا ومع ذلك فالإحـــتفال شـــيء أعمّ وأشمل تندرج تحته الشعائر، وهو عبارة عن إجراءات مقـــررّة ذات طبـــيعة تتصف بالرسمية والوقار، الغرض منها تعيين أهمية الحادثة أو المناســـبة فهـــو الـــرابطة التي تجمع شتات الجماهير، وإذا إنحلّت هذه الرابطة تفرقت الجماهير وصارت أمورها مضطربة (1) ويقول مصطفى الخشاب عنها بأنهـــا: (2) "في جوهـــرها عـــبارة عـــن عادات جماعية مورست في مناسبات مخـــتلفة، وإرتبطت بعواطف وطنية وقومية، وتبلورت حول معاني وقيم وأحداث لا يمكـــن الأفـــراد أن يعـــزلو أفكارهم ومشاعرهم عن التغنّ بها وتذاكرها في مناسباتها الدورية."

(1)- ماكيفر و بيج، المرجع السابق الصفحة 299-300.

(2)- مصـــطفى الخشـــاب، علم الإجتماع و مدارسه الكتاب الثاني ـ المدخل إلى علم الإجتماع-، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، 1962، الصفحة 213.

هـــذا بالإضافة إلى وسائل أخرى، تساند بها الجماعات تقاليدها وقيمها وهي :

أ- المعـــتقدات الشعبية التي يشعر الأفراد بأنها ضرورية في حياتهم وعليهم الأخذ بهـــا، كالإعـــتقاد بأنّ أكل العروس لقلب أو كبد أو رأس الماشية التي تذبح في عرسها يجلب لها الشؤم أو لبسها لملابس عروس أخرى يعتبر فال سيئ أو دخول عـــروس أخرى على بيتها يجلب لها النحس ومن الإعتقادات الشائعة في سيدي بلعـــباس، هو أن يقتني صاحب المسكن سلحفاة يقوم بتربيتها لتجلب له الرزق، وعـــندما يضيع الشيء في البيت تعلق ربة البيت مقصا في الباب حتى تجد الشيء المفقود، أو نشر البخور والحنة والجاوي والسكر في أركان البيت الجديد وخاصة عـــند عتبته، حتى يعيش صاحب البيت وساكنوه من الجان في سلام ولا يتعدى الجـــان على سكان البيت الإنسيين، أو رمي العروس بالسكر ليلة زفافها، حتى تعيش حياة هنيئة، وغيرها كثير من الاعتقادات السارية والتي يوضع لها أكثر من اعتبار في هذه المناسبات.

ب- الأمـــثال الشـــعبية "فهي خلاصة تجارب كل قوم ومحصول خبرتهم، وهي ضـــرب من ضروب التعبير عمّا تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية يتناقـــلها الـــنّاس جيلا بعد جيل" (1) و لم يصبها الزّمان ببلي حتى وصلت إلينا مخـــتومة بخاتم تلك الأجيال أو محفوفة بهالة من الغموض وقد تبدو وقحة أحيانا إلاّ أنّهـــا باقية على غضاضتها، ودخلت فيما يروى ويؤثر وقد لا يعرف للبعض منها أصل لإنتمائه إلى غابر الأزمنة وصارت بذلك بمثلة صوت الشعب.

(1)- د.أحمـــد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية، من منظور الأنثروبولوجيا النفسية الجزائر، المؤسسّة الوطنية للكتاب، 1988، الصفحة 336.

وقد إنتقى الزمان هذه الأقوال المأثورة ووضع لها أساطير إرتبطت بها وما بقـــي مـــنها و لم يزل فإنّه لا يزال قويا جذابا على الرغم مما أصابه الدهّر ومرور الســـنين إنّها جواهر قد حفظت من التلف باندساسها في ذاكرة الأجيال المتتاليّة وهي كتر ثقافي ذو قيمة كبيرة تتراءئ فيها الملامح الخاصّة بكل قوم، وذلك لأنها وليدة لظروف معينة وبالتالي وليدة التاريخ والجغرافية والمناخ والتربية."(1)

ج- الأســـاطير وقـــد ســـبق وأن شـــرحنا معناها وأهميتها بالنسبة للبدائي على الخصوص.

د- الأغاني و الفلكلور..

3- العـرف :

العـــرف لغـــة ضدّ النكرّة، والإسم من الإعتراف بمعنى الإقرار، وهو ما إســـتقرّ في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقّته الطباع السلمية بالقبول (2) والأعـــراف هـــي مجموعة النماذّج السلوكية التي يجب الإلتزام بها من قبل أفراد المجتمع لما لها من أهمية تقليدية وإجتماعية بالغة، والوقوف ضدّ التعاليم الأساسية للأعـــراف يســـتلزم العقاب الصارّم الذي يفرض على المخالفين، ذلك العقاب الـــذي يشـــتق من العادات والتقاليد أو الرأي العّام، وتغير الأعراف يحتاج وقتا طويـــلا غـــير أنّ أهميـــتّها تتجـــلى في المحافظـــة على صورة وشكلية النظام الإجتماعي.

(1)- قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة : عبد الرحمان حاج صالح، الجزائر ديوان المطبوعات الجمعية، 1987 الصفحة 4-5.

(2)- المنجد في اللغة و الأعلام، المصدر السابق، الصفحة 500.

وكمـــا جـــاء تعـــريفه في المعجم الفلسفي، (1) "فهو قسمان، عرف عـــام، وعـــرف خـــاص، أمّا العرف العّام فهو مجموع العوائد والتقاليد العامة المنتشـــرة في المجـــتمع، وأمّا العرف الخاصّ فهو مجموع ما تعودّه الفرد من أنماط الســـلوك، والعـــرف مـــرادف للعادة، إلاّ أن القدماء يفرقون بينهما بقولهم أنّ اســـتعمال العـــادة في الأفعـــال والعـــرف في الأقوال أمّا المحدثون من الفلاسفة الغربـــيين فـــيفرقون بينهما بقولهم أنّ العرف خارجي والعادة داخلية وخارجية معـــا، ولذلك قال بعضهم، العرف لا يثبت إلاّ بالتكرار على حين أنّ العادة قد ثبتت بمرّة."

وعمومـــا فيختلف العرف عن التقاليد من حيث درجة إلزامه وإنتشاره وشمـــوله وعموميته، فالتقاليد عادات تهمّ جماعة أو فئة أو طبقة، بينما العرف هو عـــادات في مصـــلحة الجماعات كلّها متلاقية فهو في شموله وإلزامه أقرب إلى القـــانون مـــنه إلى التقاليد، وبالإضافة للتوضيحات التي سبق وأن ذكرتها حول العرف والفروق بينه وبين العادات الإتفاقية والسنن وغيرها من مظاهر العادات الإجتماعـــية عمومـــا، أذكر هنا ما قاله "سمنر" في بحثه الشهير"الطرق الشعبية" واصـــف إيّاه :"إنّ أهم حقيقة في العرف هي سيطرته وسلطانه على الفرد فهو يستقبله منذ نعومة أظافره، فيزّوده "برصيد" مدخر من الأفكار و الآراء والآداب والأذواق ويـــأخذ بـــيده ليســـير في طرق محدودة، مرسومة تبين كيف يكون السلوك الفكري والعلمي، والعرف يقدم للفرد قواعد الأخلاق وقوانين السلوك

(1)- المعجم الفلسفي، المصدر السابق الصفحة 71.

ويطلعـــه على نموذج الرّجل كما يجب أن يكون ويشكّله في القالب الذي يحقق هذا النموذج بالرّغم منه ودون أن يعلم عن ذلك شيئا، ومن يخضع للعرف فأنه يحظـــي برضـــى المجـــتمع أمّا من يقاومه ويخالفه فلا يقابل إلاّ بالنبذ والإحتقار والإغفال وبإجراءات أخرى قاسية وصارمة."

وإذا كانـــت للعرف هاته القوّة والصلابة والثبات والهيبة والقدسيّة، فلأنّه ينحدر من الماضي ويحمل في طياتّة صفات الصواب والحق، ولعلّ هذه السمات هـــي الـــتي جعلت باجوت يطلق عبارة Cake Of Custom على العرف،والتي عربـــتّها "د. فوزية دياب " بعبارة قرص العرف، هذا القرص الذي يزيد جمودا وصـــلابة، مع مرور الزمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهذه السمّات أيضا هـــي الـــتي تحمـــيه من التفكير النقدي والتحليل المنطقي، لأنّ العرف ينشأ في الغالب نشأة غير منطقية.

ويرى بعض الأنثروبولوجيين من أمثال "مالينفسكي" و "سابي" و"روث بنديكـــت" و "رالي" بـــأنّ القـــبائل البدائـــية لا تعترف بحق الفرد في أن ينتقد العـــرف، الذي ولد فوجد نفسه يعيش تحت سيطرته فتقول "روث بنديكت " عن سلوكات البدائيين بأنّها آلية، تحدّدها الأعراف.(1)

و يضـــيف "سابير" بأنّ للأعراف قوّة كبيرة وصلابة في المجتمعات البدائية ممّـــا لها في المجتمعات المتحضرّة، ففي المجتمعات البدائية تكتسب الأعراف قوتّها نظرا لصفة القداسة التي تكتسبها من الممارسات السحرية والدينية.(2)

(1) RUTH- BENEDICT IBID, Page 05.
(2) EDWARD SAPIR IBID, Page 116.

وهذا ما يجعل العرف يقوم مقام القانون الوضعي في المجتمع البدائي، فيرى "سـيدني هارتلـند" في مؤلّفـه" Primitive Law " (1) " بأنّ نواة التشريع في المجـتمعات البدائـية تقوم على سلسلة من المحرّمات وأنّ مجمل القوانين البدائية أساسها المحظورات."

و في كـثير مـن دول العالم يشكل العرف أهم مصدر للتشريع بالنسبة للقـانون الوضعي، وهذا نظرا للأهمية التي يكتسبها العرف في حياة الفرد داخل المجـتمع، وهذا ما كان معمول به حتى في العصور التي خلت، فإذا ما عدنا إلى تـاريخ الإجتهاد، في تفسير أحكام الشريعة الإسلامية نجد الشافعي مثلا، وغيره كـثير مـن الأئمة المجتهدين، قد إستنّدوا في فتـواهم وتفسيراهم إلى العادات والأعراف السائدة في الجماعات التي كانوا يعيشون فيها.

ومـن الأعـراف ما هي، حتمية وهي السنن الإجتماعية وهي كما عرّفها "بانونـزيو "، « Panunzio » (1)، "إصـطلاح يطلـق على الممارسات والقواعد التي تحكم أساسا النشاطات المتعلّقة بمنح الحياة للفرد أو سلبها منه"، وبعبارة أخرى هـي إصـطلاح يطلق على تلك العادات التي يجب أن تطاع لأنّها تعدّ بكلّ تأكيد جوهـرية لصـالح المجتمع والسننّ تتضمن التعميمات الفلسفية والأخلاقية، والعقائد والآراء، والقواعـد والمعـايير الخاصـة بصـالح الجماعة ورفاهيتها"وتحمل السنن معنى"صواب" و"خطأ" و"حلال " و"حرام" و"حق" و"واجب"، وهي تصنّف وتقرّ

(1) MALINOWSKI IBID P.42.

(1)- نقلا عن د. فوزية دياب، المرجع السابق الصفحة 202.

بدقـــة وصـــرامة، الطرّق الواجب إتباعها في العلاقات الإجتماعية ولهذا فهي أكثر الممارســـات دومـــا، وهـــي تـــأخذ شكل المحرّمات والأمثال والحكم، والنكت، والفلســـفات والمكتوبات المقدسّة وتنتقل السنّن من جيل إلى جيل بالمحاكاة وغرس العقائد والتخويف وهي تمتاز بالإستمرار والدوّام.(1)

ومـــن بين هذه الأشكال نجد المحرّمات أو المحظورات أو النواهي المقدسة، وهي كلمة بوليزية تتصل بعقائد الشعوب البدائية، وتعبّر عن جميع الأشياء التي يحرّم إتـــيانها لدرء غضب الآلهة ونقمتهم، وهي كما يقول "كمبل ينج" - Kimball » « Young (2) أوامـــر في صيغة النهي، وقيود موضوعة على العمل والسلّوك، نواه تـــنهي بها الجماعة أمّا "كترلي ديفز" فيرى أنّ المحرّمات أنواع من العرف أو السنّن يـــتخذّ التعـــبير عنها شكلا سلبيا، وأنّها قواعد تنصّ على ما يجب تجنبه وقد رأينا أعـــلاه كـــيف اعتـــبر "هارتلند"، بأنّ الطابوهات هي روح القانون في المجتمعات البدائية، وهذا لما لها من أهمية.

العادات المستحدثة :

يقصـــد بالعـــادات المستحدثة ما يقرّه المجتمع من تغيّر متتابع يتصل بأحد موضـــوعات العادات الجمعية وتحدث تغيرات العادة المستحدثة في صورة تتابع منتظم في الغالب أو "دورة العادة المستحدثة" كما تسمى أحيانا.

ويقع تأثير العادة المستحدثة في جوانب العامل الثقافي التي يعتبرها المجتمع غير ذات أهمية نسبية فيما يتعلق بالقيم الرئيسية، وتتصل العادة المستحدثة بأمور

(1)- نفس المرجع السابق الصفحة 204.

(2)- المرجع السابق الصفحة 205.

مـــثل الآراء والمعـــتقدات والتسلية واللّباس والزينة بجميع أنواعها وزخرفة المترل والأثاث وطريقة التحدث والموسيقى الشعبية والأدب والفن.(1)

وإذا أردنـــا أن نضـــرب لذلـــك أمـــثلة، نذكـــر طرق الاحتفال عندنا بالزفاف، حيث كانت حفلة العرس تدوم في سنوات مضت مدة خمسة إلى سبعة أيام، يلتقي فيها أفراد العائلة يحضروّن فيها ليوم ذهاب العروس، إلى بيت زوجها وتنصـــب الخـــيمة أمام المترل، لتقديم الغذاء والحلوى للمدعوين وحتى لعابري الســـبيل، في حين أخذت تقتصر نفس هذه الحفلات، في أيامنا هذه علىٰ إقامة يـــوم لـــلمدعوين وتنظـــيم الحفـــلات في الصالات المخصصة التي تكرى لهذا الغرض، ومن أدوات تجميل العروس في الماضي الحناء، غير أن موضات التجميل اليوم، تجعل الفتيات يرفضن ذلك، ويذهبن إلى متخصصات التجميل العصري.

وقد ميزت الدكتورة "فوزية دياب"، في كتابها القيم والعادات الاجتماعية بين أشكال العادات المستحدثة، فتقول : "نقصد بالعادات المستحدثة كل ما يستجد في المجتمع من ممارسات أو استعمالات اجتماعية سواء في شكل موضات أو بدع أو نزوات أي تقاليع، وهناك من يستعمل لفظ موضات استعمالا يشمل البدع والنزوات أي التقاليع دون تمييز بينها ولكننا لو توخينا الدقة لاستطعنا أن نفرق بينها، فالموضات هي الممارسات الجديدة التي تستسيغها الجماعة وتتقبّلها فتنتشر بين كثير من الأفراد والموضات هـــي عـــادات لا تـــتصف بالاستقرار

(1)- مكيفر و بيج، المرجع السابق الصفحة 359.

والـــدوام، فهـــي في الغالـــب قصيرة الأجل سريعة الزوال وبعد فنائها، تتلوها موضـــات أخرى أما البدع فهي ممارسات جديدة شبيهة بالموضات، ويمكن أن نعدهـــا موضـــات مـــبالغا فيها، ولذلك فالبدع أضيق انتشارا بين الناس، وأقل جاذبية لهم عن الموضات، والبدع تتضح بصفة خاصة في طريقة الكلام، وشكل الملـــبس، وطـــرق التزيين وأساليب الترويح من غناء ورقص، وموسيقى وهلم جـــرّا، أمـــا الـــتروات أي التقالـــيع، فهي ممارسات مستحدثة تشبه الموضات والبدع، غير أنها تختلف عنها في المبالغة الزائدة عن حد المستطاع والقبول، ولذا فهي تتسم بطابع الهوس والهستيرية الذين ينفران غالبية الناس منها وممن يمارسونها ولهـــذا فـــإن مـــن يمارســـونها يبدون دائما متصفين بالحماقة والتوتر والاندفاع والرعونة والخروج عن المألوف.(1)

وجعـــل كـــثير مـــن علماء الاجتماع من العادة المستحدثة ضدا للعادة الجمعـــية، وقـــد اعتـــبر"هربرت سبنسر" العادة المستحدثة أداة للمحافظة على مســـتوى العـــادة الجمعية تثبت حينما تضعف العادة الجمعية، وعرّف "غابريل تـــارد" العـــادة المستحدثة بأنها "تقليد المعاصرين" وأقامها كضد للعادة الجمعية واصفا إياها بأنها "تقليد الأسلاف أو الموتى."(2)

بيـــنما توغـــل"ســـابـــير" أعمق من ذلك في دراسة الموضة، حيث تطرق للعـــامل النفسي لدى الإنسان، والذي جعل الفرد العادي، بحكم تطلعه للتحرر من قبضة العرف المسيطرة عليه، يتبع الموضات الجديدة للتنفيس والترويح علـــى

(1)- فوزية دياب ، المرجع السابق الصفحة 217-218 .

(2)-ماكيفر و بيج ، المرجع السابق الصفحة 359.

نفســـه وذلـــك بشكل شعوري أو لا شعوري، فهي تضفي على خروجنا عن العرف نوع من الشرعية والقبول الاجتماعي.

وأضاف بأنه بحكم الحاجة الاجتماعية للموضة، فقد تتحول هذه الأخيرة إلى عرف.(1)

إن الموضة تستمد قوتها من التقليد أو العرف، ولكن قد يحدث أن تستمر إحداها ويكتب لها البقاء وقد تصبح عرفا.

إن الموضـــة شيء آخر غير تجديد مؤقت في العرف ففي تاريخ الإنسان، يعتبر دوما التجديد وليد الحاجة للشيء المجدد.

وارتأيـــنا أن نضـــع هـــذا الرسم التخطيطي الذي يوضح فروع العادات الاجتماعـــية وللإشـــارة، فإن هذا التمييز بين مختلف الفروع الذي سبق وفصلنا فـــيه، إنمـــا وضـــع للدراسة، حيث أن واقع العادات الاجتماعية يثبت تداخلها وصعوبة التمييز فيما بينها.

(1)- EDWARD SAPIR, IBID, Page 107.

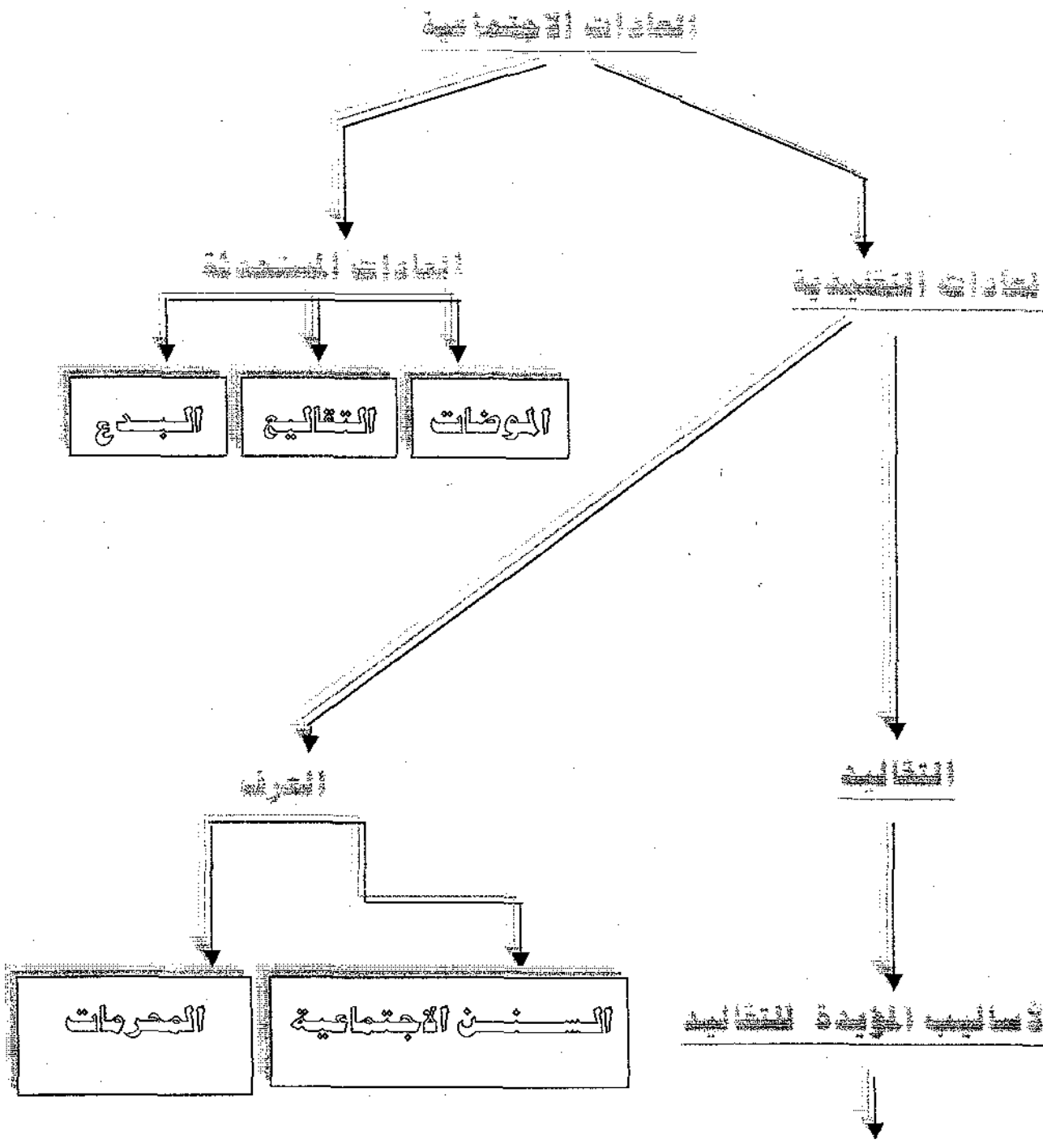

الشعائر، الرموز، الاحتفالات العامة

المعتقدات، الحكم و الأمثال، الأساطير، القصص و الأغاني الفولكلور

الفصل الثالث

العادات والتقاليد السائدة في منطقة سيدي بلعباس والمتعلقة برعاية الأطفال الرضّع

مدخل: الفضاء الجغرافي والتاريخي للمدينة

المبحث الأول: سرد لكل العادات السائدة في المنطقة والمتعلقة برعاية الطفل الرضيع.

المبحث الثاني: الاستمارة وتفريغ البيانات مع قراءة في النتائج.

المبحث الثالث: الاستنتاجات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير. ﴾

الآية *232* سورة البقرة.

مدخل

الفضاء التاريخي و الجغرافي لمنطقة سيدي بلعباس

تقع منطقة سيدي بلعباس على بعد ستين كيلومتر جنوب وهران وسط أرض مستوية واسعة وحصبة يجري على ربوعها واد مكرة، يقدر عدد سكانها بـــ 537.276 نسمة، وتحوي أزيد من 4700 هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة.

تتربع على مساحة قدرها 9150,63 كم^2 وتشترك في حدود إدارية مع ولاية وهران من الشمال وسعيدة والبيض من الجنوب ومعسكر من الشرق وتلمسان وعين تموشنت من الغرب.(1)

تتميز المنطقة بطابعها الزراعي وساعدها على ذلك وفرة المياه، فكانت مهدا لفئة من الناس يعيشون على الزراعة وتربية المواشي وربما جعلتها هذه الميزة، قبلة للمهاجرين ومطمعا للغزاة.(2)

ويعتبر البربر أقدم شعوب إفريقيا، ولذلك يعدون السكان الأصليين للمنطقة، وقد قسم الرومان البربر إلى عدة طبقات وأطلقوا على القبائل التي استقرت في التل اسم المغاربة، ومن هؤلاء المغاربة كان السكان الأوائل لمدينة سيدي بلعباس، ويتميزون بتقاليد حضرية وباهتماماتهم بالبستنة وبزراعة الحبوب، ويبدو وأن مجرى الماء قد جذبهم إلى هذه المنطقة، وقد استغل السكان قربهم من وادي مكرة في سقي بساتينهم بطريقة منتظمة، وتوجد آثار قديمة جدا لقنوات كانت موجودة في الماضي.

(1) Fiche signatitique de la wilaya de Sidi Bel Abbes de l'année 2001. D.P.A.T

(2) نقلا عن وثيقة صادرة عن مديرية المجاهدين بعنوان "تخلدا لمعركة أولاد براهيم، جانفي 1845."

ويذكر الجغرافي العربي الإدريسي أنه كانت توجد هناك مدينة بربرية في القرن الثاني عشر الميلادي غير بعيدة عن جبل تسالة (1) والذي كان بمثابة مركز مراقبة مدن عسكرية منها: عين بنت السلطان، وعين زطيطة، والتي كانت تسمح للرومان من حراسة ومراقبة سهول المكرة وملاتة معا.(2)

لا توجد أي آثار رومانية في المكان الذي تحتله مدينة سيدي بلعباس، و لم يكن المستوطنون يبتعدون عن الحصون التي كانت تنتشر على الطريق وكان الحصن الأقرب إلى المدينة موجودا على جبل تسالة.(3)

لقد تمت الفتوحات الكبرى لإفريقيا في 644 و1060 ميلادية وكانت الفتوحات الأخيرة عنيفة بشكل خاص إذ جعلت 250.000 من الرحل يزحفون على إفريقيا ويدمرون كل شيء في طريقهم، و لم يكن لهذا الزحف تأثيرا في المنطقة إذ استمرت بعض الإمارات البربرية في الوجود كتلك التي كانت في تلمسان. (4)

وفي القرن الرابع عشر الميلادي وصلت إلى سيدي بلعباس القوافل الأولى من بني هلال.(5)

وهذه القبيلة أنجبت قبيلة بني عامر والتي استقرت بالمنطقة، شأنها شأن الفلاحين والمربين العاديين.

(1)La ville de Sidi Bel Abbès : histoire, légende. Anécdotes. René Rodot imprimeur, éditeur, 1927. P 15.16.

(2)وثيقة صادرة عن مديرية المجاهدين، نفس المصدر السابق.

(3)نفس المصدر السابق.

(4)La ville de Sidi Bel Abbes. page 18.

(5)وثيقة مديرية المجاهدين، نفس المصدر السابق.

وبمحيطها الغابي ورواقها الزراعية، وهذا حتى بعد سنة 1509 ميلادية، وفي سنة 1780 ميلادية أرسل باي وهران قبيلة الحساسنة إلى منطقة بني عامر الآتيين من سعيدة كي يعمروا المنطقة، وهكذا وبعد استيلاء الأسبان على مدينة وهران، أصبحت المنطقة تأو القبائل على النمو التالي:

* قبيلة أولاد إبراهيم: في المنطقة الجنوبية الشرقية.

* قبيلة الحجر: المنطقة الشمالية.

* قبيلة أولاد سليمان: المنطقة الشرقية من وادي المبطوح إلى سفيزف.

* قبيلة أولاد عوف: وقد استقرت هي الأخرى بنواحي معسكر وتيارت.(1)

أثناء بحثي عن وثائق تؤرخ لمنطقة سيدي بلعباس أثار انتباهي، كثرة المراجع والوثائق المؤرخة بالفرنسية ومن طرف أجانب، كون المنطقة كانت مركزا للضيف الأجنبي خلال فترة الاستعمار، بغض النظر عن كتاب عبد القادر عزة المعنون بـــ "مصطفى بن براهيم شاعر بني عامر ومداح القبائل الوهرانية" الذي تحدث فيه عن تاريخ المنطقة بشكل مختصر أو كتاب رضوان عيناد ثابت الذي حاول من خلاله التأريخ للمدينة وللمنطقة الخامسة منذ فترة الاحتلال إلى غاية حرب التحرير وذلك بمساهمة الطيب النهاري الذي كان ضابطا في جيش التحرير الوطني.(2)

(1)وثيقة مديرية المجاهدين، نفس المصدر السابق.

(2)Redouna Ainad Tabet. Histoire d'Algérie, Sidi Bel Abbes, de la colonisation à la guerre de libération, ENAG/édition, Alger : 1999.

وقد وجدت مصادر فرنسية (1) تذكر بأن الأعراش التي تشكل قبيلة بني عامر كانت متحمسة جدا للحروب وكانت مرتبطة مع الأمير عبد القادر الجزائري وأصحابه، وهذا ما دفع السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى إرسال وحدات عسكرية أولى للتغلغل داخل محيط هذه القبيلة لحماية المعمرين الأوائل وانطلاقا من مدينة وهران شمالا.

لهذا توجهت قافلة من وهران في جوان من سنة 1843 ميلادية، نحو سيدي بلعباس وبدأت في تشييد قبة سيدي بلعباس على الضفة اليسرى من وادي مكرة.

وهكذا ظهرت إلى الوجود أكواخ خشبية استعملت كملاجئ ومستشفى ومخازن للذخيرة والمؤونة، وكان السبب من هذه التحصينات التدخل السريع القوات الإستعمارية، ومنها الكتيبة الأولى * الأجنبي، لقهر واحتواء النشاطات الثورية التي كانت تقام هنا وهناك.

(1)فلتاردي برنيار "وثائق غير منشورة عن سيدي بلعباس، عدد 24 السنة السابعة (جويلية، أوت، سبتمبر) 1961، ص05-10.

اعترف رؤساء القبائل للجهة الغربية بإمرة الأمير عبد القادر لهم، الذي ما ليث أن باشر في ضرب الجيش الفرنسي، محدثا فيه أضرارا مادية وبشرية، أجبرت فرنسا على الاعتراف بإمرته، وعقدت معه معاهدة ديمتشال في فبراير سنة 1843، وهو ما مكّن الأمير من إعادة تنظيم الجيش وإنشاء إدارة تشرف على تسيير القبائل التي كانت تحت إمرته والقيام من جهة ثانية بالقضاء على جمع العصابات التي كانت موالية للحكم العثماني تحت قيادة مصطفى بن إسماعيل، إلاّ أنّ الاستعمار الفرنسي لم يحترم المعاهدة وبقي يضايق الأمير عبد القادر، ممّا نجم عن ذلك معاهدة ثانية بتافنة في الثلاثي من شهر ماي 1837 ميلادية التي اعترف فيها الفرنسيّون بإمرة الأمير عبد القادر على الجهة الغربية ووسط الجزائر باستثناء الساحل.(1)

وفي سنة 1842ميلادية نقض الفرنسيون معاهدتهم تحقيقا لمخطط "بيجو" BEGEAUD وأقاموا مستوطنة عسكرية بمنطقة بني عامر التابعة لإحدى القبائل الموالية للأمير عبد القادر بجانب قبة سيدي بلعباس على ضفاف واد مكرّة، ممّا دفع الأمير عبد القادر بضرب ذلك المعسكر عدّة مرّات، وفي سنة 1843 ميلادية قام الأمير عبد القادر بمهاجمة المعسكر مرتين في شهر أوت وأكتوبر، وتواصلت الحملات على الجيش الفرنسي تحت ضربات قبيلة بني مطهر وبالأخصّ في سنة 1844 ميلادية وسنة 1845 ميلادية قامت مجموعة من درقوة بعملية انتحارية بمهاجمة المعسكر الفرنسي بالعصي والخناجر، راح ضحّيتها خمسون شهيدا يوجد ضريحهم بالحديقة العمومية بسيدي بلعباس.

(1)Guide de Sidi Bel Abbès conçu par la sureté de wilaya de Sidi Bel Abbès 1986. P.3-4.

لقد تميزت نهاية القرن التاسع عشر باختفاء جميع المقاومات الكبرى، وانتصار الاستعمار الفرنسي وعندما بدأت فرنسا بمصادرة جميع الأراضي الفلاحية، وبطرد أهاليها منها مع زعزعة النظام الاقتصادي والاجتماعي السائد في أوساط القبائل، وبطردهم إلى المناطق الوعرة والجبلة، وما بقي من السكان الفقراء حيث أقاموا بيوتا قصديرية، وحوّل المعمّر الفرنسي طبقة من المنتجين الجزائريين إلى طبقة كادحة تعمل تحت سيطرته.

وقد عرفت المدينة ثلاث مراحل للهجرة الريفية الأولى بدءا من سنة 1904 ميلادية وإلى غاية 1954 ميلادية والثانية سنة 1958 ميلادية متمثلة في مشروع قسنطينة للجنرال "ديغول"، وثالثتها بعد الاستقلال، حيث شهدت نزوحا ريفيا مكثفا (1)، هذا النزوح الذي زادت حدّته في السنوات الأخيرة بسبب الظروف الأمنية التي عرفتها المنطقة على غرار باقي المناطق في الوطن.

أصل التسمية ونبذة تاريخية عن حياة الوالي الصالح سيدي بلعباس:(2)

إن سيدي بلعباس البوزيدي من أحفاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، إن والده سي البوزيدي قد جال داخل العالم الإسلامي وهو يبحث في الميادين العلمية، الثقافية والدينية وقد سافر إلى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج ودام هذا السفر مشيا على الأقدام عدة سنوات مما سمح له على تاريخ البلدان التي زارها ومن النهل من أصول الدين والشريعة وكذا الفقه وغيره من العلوم آنذاك.

(1) متحف الجهاد لمدينة سيدي بلعباس :وثيقة.

(2) مديرية المجاهدين .وثيقة.

وعند رجوعه إلى الوطن الجزائر، استقر في قعدة آفلو ووافته المنية بعد عدة سنوات من وصوله إلى هذه الناحية تاركا وراءه أربعة عشر (14) ابنا وكان قد التحق واحد منهم بالقوافل التي كانت تجوب الصحراء الكبرى وانتقل إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى طالبا للعلم .وبعد سنوات قلائل انتقل إلى مدينة تلمسان أين درس بمدرستها ونظرا لقوة علمه ولشخصيته الدينية والأدبية، أصبح يشكل النقطة التي يتوافد إليها كل عالم وطالب علم .فنعم الحفيد ونعم الابن البار الذي حذى الطريق الذي سطره والده والذي كان قد أوفد أهالي قبيلة بني عامر.

لقد أصبح سيدي بلعباس إبنا ذكيا خارقا للعادة الشيء الذي أهله إلى الاستجابة إلى قرار والده الذي عينه كي يكون ممثله في توحيد قبائل بني عامر، داعيا إلى السلم والوفاق وصل إلى مشارف وادي مكرة أين استقر بجواره داخل قبة لازالت واقفة اليوم بالضفة اليسارية للوادي، وهنا تابع عمله الوحدوي وتدريسه لأصول الدين والقرآن الكريم والإحسان إلى المساكين، وقد توفي سنة 1771 ميلادية, أصبحت المدينة تحمل اسمه بعدما اقترح المعمرين على الإمبراطور نابوليون الثالث خلال زيارته للمدينة يوم 05 ماي 1865 منح اسمه لهذه المدينة كي تصبح نابوليون فيل.

ولكن لم يكن هذا الآخر متحمسا إلى مثل هذه العملية وكان بالمقابل يرفض المعاملة السيئة للأهالي من طرف المعمرين والجيش الاستعماري ناويا من خلال ذلك إنشاء مملكة عربية تحت حماية فرنسا .وشاء القدر أن يعطي اسم سيدي بلعباس للمدينة إلى الأبد .

الخصوصية الثقافية للمنطقة:

لقد عرفت الثقافة في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي تطورا ملحوظا حيث كان كل جزائري يعرف القراءة والكتابة إلى جانب العادات والتقاليد النابعة من مجتمعنا الإسلامي العربي، وبالإضافة إلى تعلم القرآن الكريم والحديث والعلوم العربية بطرق تقليدية، وإذا كان هذا النشاط الثقافي قائما على الجهود الفردية، فإنه ساعد على توفير عناصر التحصين والمقاومة وحماية الشخصية الجزائرية من محاولة التنصير والإدماج التي كانت تشكل التوجيه الاستعماري في الجزائر، وقد كان للعلماء والمثقفين دور حاسم في نشر التعليم والمحافظة على التراث والتقاليد والعادات، وكان لهذا التوجيه دوره الإيجابي في تأسيس نوادي ثقافية وعلمية وفرق مسرحية، ساهمت بفعالية في المحافظة على الشخصية الجزائرية، وتوعية الشعب في محافظته على مقوماته وتراثه.

سيدي بلعباس التي انبثقت كولاية عن التقسيم الإداري لسنة 1974 تجمع الآن 15 دائرة و52 بلدية وعددا من المداشر والقرى النائية تحوي 537.276 نسمة، يوجد 189.625 نسمة من بينهم يقطنون المدينة، مركز الولاية والبيئة موزعين على الأرياف وأغلب سكان المدينة، يقطنون الأحياء الشعبية والتي كانت مجالا خصبا الفلكلور ونشأته.

وقد كان لمدينة سيدي بلعباس فقهاء يعتّد بهم في مجال العلوم الشرعية أمثال الشيخ بخالد بن كابو والشيخ البدوي بو يجرة وهو مفتي الديّار العباسية والشيخ الأعلى والشيخ مولاي المعزوزي، كما كان لها شعراؤها ومثقفوها من أمثال مصطفى بن براهيم، وتمكنت ثلة من هؤلاء العلماء من إنشاء

مدارس تعليمية حرّة كمدرسة التربية والتعليم سنة 1942 ميلادية والموجودة بحي الأمير عبد القادر ومدرسة النصّر سنة 1952 ميلادية، في حي عبد الكريم (حي عبّو).(1)

وتميزت المنطقة أيضا بفنها التقليدي وأغاني البدوي وقد برع في هذا الفن الشيخ المدني والشيخ عبد المولى العباسي والصايم لخضر، الذين أطفوا على المدينة طابعا بدويا أصيلا، لا تزال أغانيهم و كلماتهم تردد على ألسنة الكثيرين من أبناء المنطقة، وقد عرفت فضاءات ثقافية تحتضن مثل هذه الأجواء كالقرابة والطحطاحة، وحي العربي ابن مهيدي) قمبيطة (أين كانت تنظم حلقات ولقاءات وحفلات) وعادي (فلكلورية، ولا تزال المدينة محتفظة بهذا الطابع الثقافي لغاية الآن، وتواصل سلطاتها المحلية تنظيم مهرجانات للفلكلور بشكل منتظم ودوري،تضفي البهجة في قلوب أبناء المنطقة الذين يحنون إلى هذه الحفلات وحتى يتعرف الخلف على التراث الثقافي والفني الذي تركه السلف.

(1)وثيقة صادرة عن مديرية الثقافة.

خريطة تبين الموقع الجغرافي و التقسيم الإداري
لولاية سيدي بلعباس

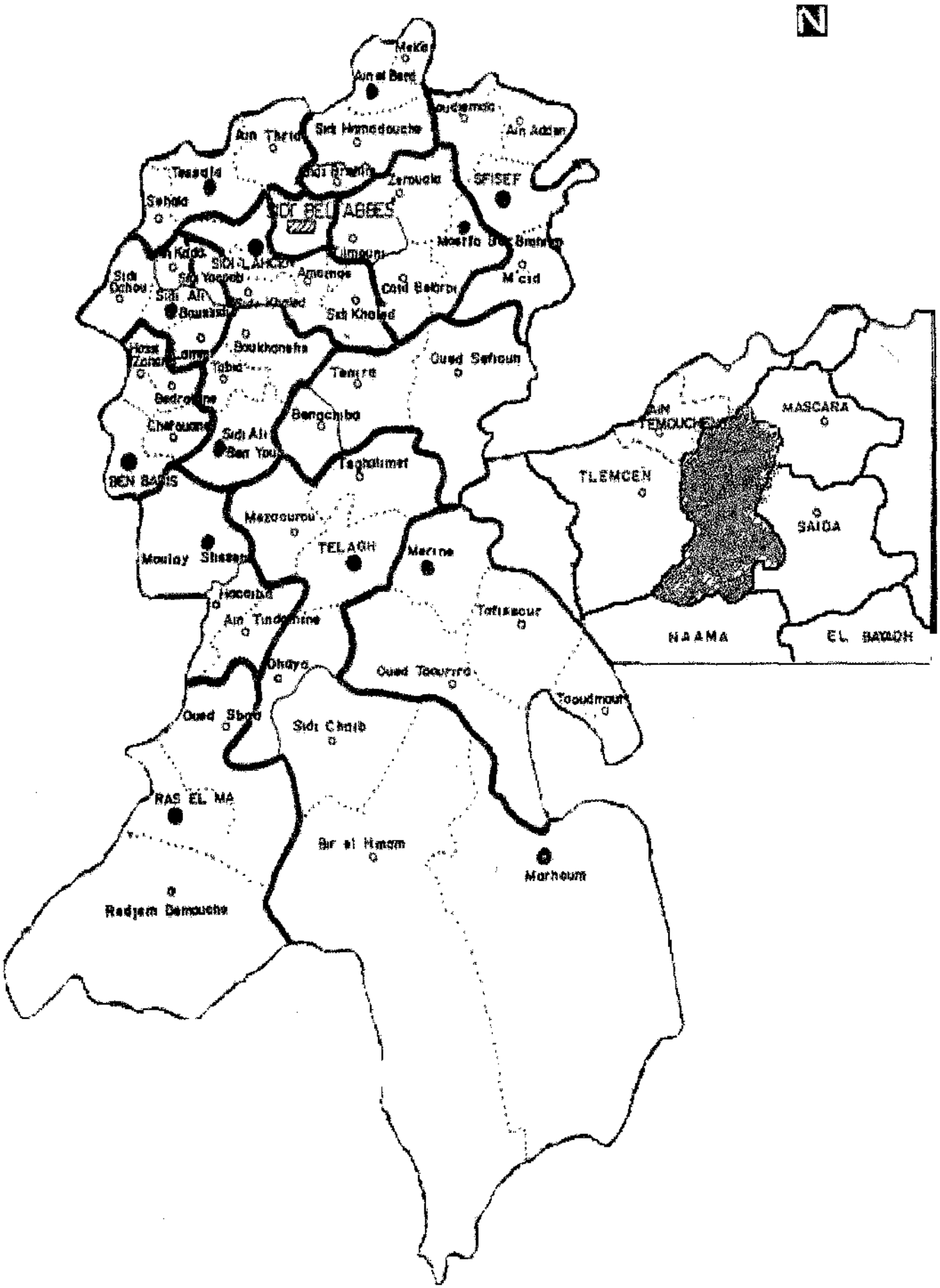

العادات السائدة في سيدي بلعباس

والمتعلقة برعاية الطفل الرضيع

لقد ارتأيت أن أتناول في هذا الفصل التطبيقي كل العادات والتقاليد التي تحيط بظروف الولادة، وظروف رعاية الطفل، والتي لا تزال ممارسة من طرف النّاس، لذلك قسمتها إلى أربعة:

أولا: العادات المتعلقة بالحمل والوحم.

ثانيا: العادات المتعلقة بالولادة والعناية بالطفل والأمّ.

ثالثا: العادات المتعلقة بالسبّوع ووقاية الطفل من الحسّد.

رابعا: العادات المتعلقة بالتطبيب الشعبي الخاص بالرضّع.

أولا: العادات المتعلقة بالحمل والوحم

قبل الوحم والولادة تجب الإشارة إلى أهمية الخلف في مجتمعنا الجزائري ككّل وتظهر هذه الأهمية منذ بداية الحياة الزوجية وخصوصا خلف الذكور على الإناث، ذلك أن الذكور هم حملة اسم الوالد وخلفته على الأرض، وهم الذين يكونون سندا للأب والأم عند كبرهم وتقدمهم في السن وكثيرا ما يكون عدم الخلفة سببا رئيسيا من أسباب الطلاق، لذلك كثيرا ما تسعى بعض النسّاء اللواتي، يتأخرن في الولادة فور زواجهن إلى اتباع العلاج الشعبي من أجل أن يتحقق لهنّ ذلك.

ومن أهم الطرق المتبعة لعلاج التأخر في الولادة أكل الدجاج المحشي بالأعشاب مثل"الزعتر" و"فليّو" وأكل "كسكس غليظ" أو ما يعرف بـــ "البركوكس" المحضّر بالأعشاب المطحونة.

أو كما تقوم المرأة بزيادة أولياء الله الصالحين طمعا في الخلفة وهناك ثلاثة قبب تزار في الغرب الجزائري من أجل هذا الغرض، وهي قبة سيد

الزواوي، بسيدي بلعباس وقبة سيدي قادة بلمخطار بولاية معسكر، وقبة سيدي يوسف في ناحية تلمسان، ويزار هؤلاء الأولياء الصالحين أيضا من طرف الأمهات اللواتي يفقدن أولادهن بالوفاة بعد الولادة، وشيع الاعتقاد بأنه فور تقديم وعدة أو معروف للوالي المزار، تفك عقدة المرأة، وتستطيع الولادة بعد ذلك، وغالبا ما يسمى الوليد باسم الوالي المزار، فإذا زارت الأم سيدي قادة بلمخطار يسمى الوليد قادة مثلا، أو مختار.

وإذا زارت سيد الزواوي، فيسمى الوليد زواوي، أو عتو أو عتوية وزواوية إن كان المولود بنت.

وإذا زارت سيدي يوسف يسمى المولود يوسف، وعلى الأم أن تستمر في إخراج المعروف أو الصدقة كل سنة باسم الوالي المزار.

ويشترط في هذه الاعتقادات النية، قبل كل خطوة وإلاّ فلن يتحقق الغرض المرجو حسب الاعتقاد وفي الواقع، فإن ظاهرة التسمية على الأولياء الصالحين هي منتشرة في كل القطر الجزائري ففي وهران يكثر اسم هواري، نسبة لسيد الهواري وفي سيدي بلعباس يكثر اسم عباس وعباسية، وفي تيارت يكثر اسم خالد نسبة لقبة سيدي خالد الموجودة هناك، وغيرها من التسميات المنتشرة.

وروت لي إحدى السيدات المسنات كيف أنها فقدت ابنتها الأولى بعد ولادتها لسبعة أولاد، وعندما ازدادت عندها بنت ثانية بعدها أسمتها عيشة أي (عائشة) حتى تعيش، وكيف أنها لم تشتر لها أية ألبسة طوال السنة الأولى، وكانت الطفلة تلبس ما يأتيها به الجيران والأقارب من ألبسة أطفال سبقوها في السّن حتى تحذو حذوهم وتكبر مثلهم ويطول عمرها.

أمّا عن الوجم، فأول ما تنصح به الحامل هو النظر إلى أشخاص ذوي وجوه جميلة وإن أرادت أن يشبه جنينها أحد أقاربها فتقوم بشرب كأس من الحليب الطازج فوق رأس القريب وتضع يدها على جبهته، وتطلب من الله أن يأتي الطفل مشابها له، وفي مقابل هذا، فتبتعد عن كل من كان قبيحا، تمنع من النظر إلى الصور القبيحة حتى وإن كانت في التلفزيون.

كما تنصح بأن تكثر من أكل المكسرات في الفترة الأولى من الحمل. وبالنسبة للمرأة التي تريد أن يكون وليدها ذكر، فتأكل قليل من الفول السوداني الطازج أو تبلع حبة قرنفل في فترة الوحم.

ثانيا : العادات المتعلقة بالولادة والعناية بالطفل والأم

من الشائع في أوساطنا الشعبية أن تنتظر المرأة الحامل، دخول شهرها التاسع، وتنظر إلى الهلال في بداية الشهر الهجري، تتضرع إلى الله بأن يأتيها الوضع سهلا، ثم تسقط قليل من الماء الدافئ بين ثدييها أو تسقط مفتاحا، حتى يأتيها الوضع سهلا كالماء.

وعندما تبدأ آلام الولادة التي هي نذير للوضع وهي ما يعبر عنها في العامية» بالشداد «وتتأهب الحامل للذهاب للوضع، تقوم إحدى قريباتها المرافقة لها بتقديم إناء مملوء بالدقيق لعابر السبيل، وتفريق بعض النقود، وتسمى في المنطقة بصدقة سيدي عبد القادر"سلاك الوحايل"، والواحلة في العامية هي المرأة التي ستلد وحتى تسهل عملية الولادة، يغلى البصل مع القرفة ويقدم للحامل، فتشربه، فإن استمر الألم تبين أنه وجع ولادة بالفعل، وتبخر على الحناء والبصل و"النابطة" وهي عشبة تساعد المرأة على الولادة بسهولة، وتجعل

عنق الرحم يلين بسرعة فيساعد على خروج الجنين من بطن أمّه بسرعة وسهولة.

وإن كانت الولادات في الماضي تتم في البيوت على يد القابلات فإنها اليوم تتم غالبا في المستشفيات نظرا للتطور التكنولوجي، والتوسع العمراني، الذي أخذت تشهده معظم مدن الجزائر، وما رافقه من توسع في إنشاء الهياكل الصحية في المناطق الريفية، وقد ذكرت لي إحدى السيدات المسّنات من اللواتي حاورتهن، أنها وضعت كل أطفالها في البيت وعندما سألتها عن المشيمة التي تنزل في أثر الطفل، أي ما يعرف بالعامية بـــ "التوابع"، ذكرت لي بأنه كان يدفن تحت التراب، وذلك للاعتقاد بأنه جزء من روح الوليد.

وبالنسبة لبقايا الحبل السري التي تجف عادة وتسقط في نهاية الأسبوع الأول من حياة الطفل، فترمى في ركن من أركان المسجد حتى يشب الطفل حافظا للقرآن ومواظبا على الصلاة وإن كانت المولودة طفلة فيحتفظ ببقايا حبلها السري في ركن من أركان المنزل حتى تشب الفتاة على حب بيتها.

وقبل ذلك ولكي تجف هذه البقايا بسرعة تطلى حبة من التمّر بالحنة وتوضع فوق الحبل السري، وتجدد العملية كل يوم طوال الأسبوع الأول.

وهناك من الأطفال من يزداد في غشاء رقيق شفاف يعرف بالعامية باسم" الغمد"، وذكرت لي بعض القابلات في عيادة التوليد بسيدي بلعباس بأن هذه الحالات نادرة الحدوث، وأن الطفل الذي يولد في "الغمد" يعتبر سعيد الطالع، ويجلب الخير لأهله وتتنافس العائلات عليه عند مصادفته وذلك بما له من فائدة في كثير من الاستعمالات وحسب الاعتقاد الشائع، فغمد

البنت أكثر فائدة من غمد الولد، وعن طريقة استعماله تقوم النساء المسنات بتجفيفه بعد طلائه بالحنة وحبة الحلاوة والكروية والشبوب، وهي أعشاب تباع لدى الباعة المتخصصين في ذلك وبعد تجفيفه يحفظ في مكان أمين فهو يجلب الربح والسعادة لحامله، وكثرا ما ينصح الذاهب لحضور محاكمة له في مجالس القضاء والمحاكم بحمله معه حتى تجري الأمور على أحسن وجه، كما يستعمل في التطبيب الشعبي لحالات مرضية كثيرة منها على سبيل المثال، علاج عقم النساء، وفي هذه الحالة يشترط أن يكون" الغمد "لبنت وليس لولد، كما يستعمل لفك عقدة العانس وتسهيل إقبال الخطّاب عليها لطلب الزواج منها، وبالنسبة لأساليب استقبال المولود الجديد، فقد ذكرت لي بعض السيدات بأنه إن كان ولدا فيزغرد له ثلاثة مرّات متتابعات، وإن كانت بنت فيزغرد لها مرة واحدة فقط.

وعادة ما تتكفل برعاية الأم النفساء ووليدها نساء مسنات من أفراد عائلة الأم أو الأب على أساس تجربتهن في التربية وتقدمن النصائح والعادات التي يجب اتباعها حتى يشب الطفل كما شب والده وغيره ممّن سبقوه، وفي هذا الصدّد كثيرا ما يتردد المثل الشعبي القائل: "سال المجرب ولا تسال الطبيب".

ومن بين ما تقوم به المشرفة على رعاية الوليد، هو دهن أعضاء جسمه بزيت الزيتون أو الزيت العادي والحنة، ولنجبار* بالنسبة للبعض اعتقادا أن ذلك يريحه ويمكنه من النوم الهادئ.

*النجبار هو نوع من أنواع التوابل تستعمل لأغراض كثيرة في الطبخ وفي التطبيب الشعبي بشكل خاص.

وتكحّل عيني الطفل، حتى تتسع ويبصر جيدا وطوال مدة الأسبوع الأول من حياته، يوضع له الحنة أسفل إبطيه وعانته خاصة إن كان المولود بنتا حتى لا ينمو لها الشعر في هذه الأجزاء من الجسم، كما يقيها هذا من رائحة العرق الكريهة عندما تكبر، وفي نفس هذا السياق يواظب على عصر ثدي الطفل طوال الأسبوع الأول من حياته.

وغالبا ما يلبس الطفل قطعة قماش أبيض مستطيلة أو مستديرة الشكل، مثقوبة في الوسط، ليدخل رأسه فيها، ويلف جيدا والغرض منها وقاية جسمه داخلها جيدا، حتى تلتصق بها الزيوت والحنة وغيرها من المواد المستعملة في تدليكه، ولا تنـــزع له إلا بعد مرور أربعين يوما.

وهذه القطعة من القماش تعرف في القيامة باسم "الخُرّاقة"، وعادة ما يحتفظ بها للفال كما يقال.

كما يلف الطفل في قطع قماش أخرى بيضاء اللون هي الأخرى وهي ما يعرف بـــ "القماطة"* يساعد هذا الإجراء على حمل الطفل بسهولة لإرضاعه، والاعتقاد الآخر من هذا هو تجبير عظام الطفل الحديث الولادة حتى يثبت قوامه سليما وسالما من بعض التشوهات التي قد تصيبه وتدوم فترة القماطة مدة شهر في الغالب.

*القماطة :قطعة قماش أبيض يلف فيها الطفل ويربط بحزام من القماش.

وقد ذكرت لي إحدى السيدات المستجوبات أن هناك من يقمن بتجبير رأس المولود، وذلك بوضع قليل من الصوف فوق رأسه برفق ثم تطلى هذه الصوف بخليط من البيض والحنة، ويغطى بقطعة قماش، ولا تنـــزع هذه الصوف إلاّ بعد مرور سبعة أيام.

وهنا أذكر بأنّ الوليد يستحم بالماء إلاّ بعد مرور شهر أو أكثر على ولادته، حتى لا يصيبه البرد.

وعند ولادته، عادة ما يصوم الطفل مدة 24 ساعة وهناك من يفطره بقليل من الشيح المذاب في زبدة حرّة* أو قليل من عسل النحل مع قليل من صفار البيض الطازج، وبعد هذا فقط يقدّم له حليب الأم أو الحليب الاصطناعي، وعادة ما تقدم مشروبات دافئة في البزّازة تتمثل في شراب الكمون وحبة الحلاوة أو الحلبة ومن شأن ذلك أن يساعده على إخراج الغازات بسهولة، الاسترخاء والنوم الهانئ.

ومن الاعتقادات الشائعة تلك المتعلقة بضرورة غسل الألبسة الأولى للطفل من طرف امرأة ضاحكة وبشوشة، حتى يكبر الطفل ضاحكا وبشوشا.

وعن ظروف العناية بالنفساء، فعندما تضع الحامل مولودها، وخلال الأربعين يوم التي تعرف بفترة النفاس، تتناول الأم مشروبات ساخنة وتقدم لها أكلة تقليدية معروفة وهي" البركوكس"* المعطّر بالتوابل الحارّة وبعض الأعشاب، حيث يعتقد أنّ مثل هذا الأكل يسخن بطن الأم ويصفيها من دم النفاس، ويساعدها على استعادة عافيتها وقوتها بسرعة، كما أنّ ذلك يـــجعل

*دهان عرب أو زبدة الصحراء وهي الزبدة المستخلصة من حليب البقر.

*البركوكس : كسكس غليظ مع الحساء وكثير من التوابل.

حليب الأم غزيرا، ومن بين التوابل المستعملة والتي تساعد على وفرة الحليب، لنجبار والمكسرات المطحونة والتي تستعمل أيضا في تحضير الطمينة وهي طبق حلو يقدم للضيوف في هذه المناسبات، وكثيرا ما تخشى المرأة من نزلات البرد في النفاس حيث يشيع المثل القائل :"ضربة بالفاس ولا برد النفاس" نظرا لما له من أثر بليغ على صحة النفساء.

ويقال أنّ الملائكة تحيط بالنفساء مدة أربعين يوم التي تلي الولادة، لذلك كثيرا ما تطلب منها الزائرات أن تدعو الله لهن بالخير، للاعتقاد بأن دعواتها مستجابة.

ثالثا :العادات المتعلقة بالسبوع ووقاية الطفل من الحسد

أ-السبوع :

السبوع وهو اليوم السابع لولادة الطفل، ويعتقد بأنه اليوم الذي تفارق فيه الملائكة الطفل بعد حراسته من الجّن، وقد جرت العادة أن يحتفل الأهل بها اليوم وهي عادة مستمدة من السنة النبوية الشريفة.

والسبوع شرعا هو "العقيقة" والعقيقة هي الذبيحة التي تذبح عن المولود وهنا تجدر الإشارة إلى ما جاء في كتاب فقه السنة عن هذا الموضوع حيث قال صاحب مختار الصحّاح :العقيقة والعقة بالكسر هي الشعر الذي يولد عليه كل مولود من الناس والبهائم، ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه.

وعن أصلها الديني، فالعقيقة مؤكدة ولو كان الأب معسرّا، فعلها الرسول (ﷺ) وفعلها أصحابه، ولا تجوز فيها المشاركة، وعن فضلها روى

أصحاب السنن عن سمرة عن النبي (ﷺ) قال: ﴿كل مولود رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمّى﴾. أي تنشئته الصالحة وحفظه حفظا كاملا مرهون بالذبح عنه، وعن وقت ذبحها فيكون يوم السابع بعد الولادة إن تيسر وإلاّ ففي اليوم الرابع عشر وإلاّ ففي اليوم الواحد والعشرين من يوم ولادته، فإن لم يتيسر ففي أي يوم من الأيّام.(1)

ومن الأفضل أن يذبح عن الولد شاتان متقاربتان شبها وسنا وعن البنت شاة، فعن أمّ كرز الكعبية قالت :سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ﴿عن الغلام شاتان متكافئتان وعن الجارية شاة﴾.(2)

وعادة ما يرافق الذبح في السبوع، تسمية المولود والحلق، ومن السنة أن يختار للمولود اسم حسن ويحلق شعره ويتصدق بوزنه فضة إن تيسر ذلك، ومن السنة أيضا أن يؤذن في أذن المولود اليمنى ويقيم في اليسرى، ليكون أوّل ما يطرق سمعه اسم الله، وروى ابن السيني عن الحسن بن علي أنّ النبي (ﷺ) قال: ﴿من ولد له فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى لم تضرّه أمّ الصّبيان﴾.(3)

(1) السيد سابق، فقه السنّة، المجلّد الثاني، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة 11، 1994 الصفحة32.

(2) بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

الإمام القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بـــ "ابن رشد الحفيد".

دار الفكر بيروت، الجزء الأول .

(3) السيد سابق، المرجع السابق، الصفحة 33.

هذا عن السبوع شرعا، ولا يزال العديد من الناس يستعينون بهذه السنة النبوية كتقليد متوارث، وبالإضافة إلى ذلك فتنظّم الأسرة حفلة ومأدبة غذاء، يحضر فيها أفراد العائلة والأحباب والأصحاب وهناك من يغسل للطفل لأول مرة في اليوم السابع ويلبسه ملابس نظيفة وجديدة وبعد الغذاء وقبل أذان العصر، توقد للطفل شمعة، وتضع له إحدى أفراد أسرة الأب قليل من الحنّة بداخلها شيء من الذهب الخالص، وذلك حتى يشب الطفل محبوبا لدى الجميع كمعدن الذهب وغنيا ومرزوقا.

وبعد هذا تتلى آيات من القرآن الكريم لمباركة المولود، وتجدر الإشارة إلى عادة شائعة كثيرا وهي امتناع الوالدين عن أكل كبد وطحال وقلب الشاة التي تذبح في السبوع وكذلك رأسها ففي الاعتقاد السائد أنّ أكلهم لها يعني أكل رأس وكيد الطفل وهو نذر شؤم على حياته، في حين ينصحان بأكل رقبة الشاة لوحدهما حتى يأتي الطفل مطيعا لوالديه.

ب-العادات المتعلقة بوقاية الطفل من العين والحسد:

يخشى الكثير من أثر العين والحسد على النفوس وكثير ما يبرر هذا الاعتقاد لدينا بقول النبي (ﷺ): ﴿العين حق والطيرة باطلة﴾، والعين حسب ما ذكره لي أحد الأئمة في سيدي بلعباس هي ذلك الأثر الذي يتركه الفرد في نفس الآخرين بعد وقوع نظرته الأولى على شيء يرغبه بشدة، وبالنسبة للمولود الصغير فعادة ما يكون مرغوب من طرف كل من يراه، ويخشى عليه أكثر من عين والديه، حيث يقول المثل الشعبي :"عين الحاسد ولا عين الوالد"، ولاستقطاب انتباه من يحضر لمباركة المولود وزيارة الأم، عادة ما توضع خامسة من الذهب، أو كتاب صغير من الذهب على ملابس الطفل أو

حجاب حتى تسقط عين الناظر إلى الطفل على هذه الأشياء وتحميه منها، ويفترض أن يكون في الحجاب آيات قرآنية تحمي الوليد، والحقيقة أن هناك أكثر من إجراء لحماية الطفل من العين الشريرة ومن الحسد، ومنها ما هو شائع وكثير الانتشار كأن تقوم الأم أو إحدى قريباتها بوضع قليل من الشّب والملّح والحرمل* في كفها وتسبّع* بها رأس الوليد وتقرأ بعدها المعوذتين سبع مرات ثم تضعها فوق النّار وبعد حرقها، تقوم بوضعها داخل قطعة قماش، وحكها فوق رأس الوليد، وهي تردّد :"عين الفار وعين الجار وعين الداخل باب الدّار" سبع مرات، ثم ترمها في مكان فيه ماء كالمجاري أو قناة صرف المياه أو دورات المياه، وهي تقول :"العين المحسودة، تروح في المدحوسة".

والمعتقد أن هذا الإجراء كفيل بنزع عين الحاسد من نفس الوليد، وأنّه كثير ما ينام الطفل مباشرة بعد هذه العملية، ويهدأ ويرتاح، ولحمايته من القرينة أي الجان، توضع عادة تحت وسادة الطفل أو في المكان الذي ينام فيه، مصحف كما هناك من يضع أشياء أخرى، كحجرة صغيرة قليل من الماء في زجاجة صغيرة، مشط ومرآة وقليل من الخبز اليابس والفيجل* والحرمل، الشّب والملّح وسكينة صغيرة.

*الشّب والحرمل :مادتان تباعان لدى باعة الأعشاب الطبية.

*الملّح :ملح الطّعام العادي.

*الفيجل :هو نبتة قوية الرائحة.

*تسبع: أي تقوم بلف يدها سبعة مرات متتاليات على رأس الطفل وهي تردّد البسملة.

وهناك من يضع هذه الأشياء كلّها مجتمعة، وهناك من يضع بعضها فقط، ويقال بأن من يترك طفله محاطا بهذه الأشياء فلا خوف عليه من الجان والشياطين، وقد ذكرت لي إحدى العجائز أسطورة لتوضح لي قدرة رائحة الفيجل القوية على إبعاد الجّن، فقالت لي أنه كان ذات يوم أحد المزارعين عائدا من بستانه وقت الغروب ويحمل بين يديه ربطة من الفيجل وقبل مروره بمذبح بالمنطقة رآه نفر من الجّن فأراد أحدهم ضربه ولكنه لم يستطع فقال للآخر، أضربه إن استطعت أنت، إنه يحمل معه "الفشّال" أي الفيجل.

وفي هذا المثال صورة، لارتباط العادات والتقاليد بنواحي أسطورية وخرافية، وهناك من يكتفي برقية الطفل أي بوضع اليد على جبينه وقراءة آيات من القرآن الكريم، وعادة ما يقوم بهذا الوالد.

رابعا: العادات المتعلقة بالتطبيب الشعبي

كثيرا ما يرفض أهل الطفل أخذه إلى المستشفيات أو المراكز الصّحية، إلاّ إذا بلغ المرض درجة يستعصى معها العلاج وذلك لاعتقاد أنّ حلّ الأمراض التي تصيبه مصدرها الجّن أو العين الشريرة والحسد وهناك من يعتقد بأن الأطباء لا يفهمون في بعض الأمراض الخاصة بالطفل على حد تعبير إحدى المستجوبات وحاولت هنا جمع بعض طرق التطبيب الشعبي السائدة في علاج أكثرية الأمراض التي تصيب الأطفال الرضّع.

أولا: خبث الصغار les convulsions

أو ما يعرف بالفصحى بالقرينة، ما يعرف في الطّب الحديث بـــ....

ويقال أيضا في العامية للتعبير عن هذا الدّاء"فيه خوه" أي يسكنه أخوه بمعنى

قرينة من الجن، وعن مواصفات هذا الدّاء، فتتمثل في رفض الطفل للرضاعة وغيابه عن الوعي أحيانا وعند استيقاظه الإكثار من البكاء وهناك عدة طرق يعتقد أنها الأصوب للعلاج في هذه الحالات أكثرا انتشارا :أن يغطى الطفل بقطعة من القماش الأسود ويوضع إناء كبير فوق رأسه وتقوم الأم أو إحدى النساء بكسر زجاجة فوق ذلك الإناء.

ويقال بأنه إذا تفطن الأهل بأن الطفل مصاب بالقرينة فعليهم أن لا يذيعوا ذلك ويجب أن يبقى الأمر سرّا وإلاّ خطفه الجّن، كما يجب أن لا يترك لوحده، ويبقى دائما محاطا بأقربائه، وهناك من ذكرت لي بأنها تجلس وتضع وليدها عند رجليها وتغطيه بلباسها وتقرأ المعوذتين والبسملة.

كما هناك من تحضر دم الكلب الصغير، وتمسح به خلف أذني الطفل وعند كوعيه، وتضع قليل منه في لسانه وفكه العلوي وتمسح ب ظهر الطفل من أعلى العنق إلى أسفل الظهر، أو تضع قليل من حليب الأم في ملعقة تخلطه مع النيلة الحرّة وقليل من البارود وهي مواد تباع لدى العطّارين، تخلطها جيدا وتضع قليل منها خلف أذنيه وأسفل ظهره، وفي كوعيه، ثم تضع قليل منها في فمه، ويقال بأنه" فطور خوه"، فيستريح وينام الطفل بعد ذلك.

ثانيا : الليل La déshydratation

يعرف مرض الليل لدى الطفل في العادات الشعبية عندما يكون كفه مرّ عند المذاق، وأبيض اللون وينتشر وقت وجود الخيار والبطيخ والقرع من بين الخضروات في السوق، أي عندما يرضع الطفل حليب الأم التي أكلت مثل هذه الخضروات يصيبه الليل.

وأما عن طرق علاجه، فهناك من يحلق للطفل وسط رأسه، وهي معروفة بالعامية بـــ "القنة" ويكتب الطّالب (آيات من القرآن الكريم) أو يشرط له في جبهته وبين عينيه، بشكل سطحي، ويقوم الطالب* بعصر قليل من الدّم بين عينيه ووضعه في فكه العلوي.

وهناك امرأة معروفة في المنطقة يقطعها لليل أي بمعالجته، وتدعي بأنه على المريض بالليل أن يزورها صباحا قبل طلوع الشمس، لأنه بعد طلوعها يذهب الليل للنوم على حدّ تعبيرها وعن أسلوب قطعها لليل فقالت بأنها تقوم: بتدليك الطفل بالقطران. ولم تشأ أن تفصح عن بقية الطريقة المتبعة للعلاج، بحجة أنها حكمة من عند الله، ولا يجب أن تكشف سرّها، ولأنها أيضا مصدر رزقها.

كما هناك من تضع قليل من الحنة وقشور الرّمان وقشرة بصل في الماء، تغطيهم وتدعهم يبيتون في ضوء النجوم، وصباحا تضع قليل من الماء في بزّازة الطفل ويشربها.

وقد ذكرت لي إحدى السيدات المسنات بأنها عالجت كل أطفالها المقدر عددهم بسبعة من الليل، وذلك بأخذهم صباحا قبل طلوع الشمس إلى جذع إحدى أشجار التين المتواجدة في الشارع خارج البيت وتعرف بالعامية بـــ "الذكارة" وتقوم بأخذ ورقة من الشجرة أو حبة تين غير ناضجة تعصر حليبها بين عيني الطفل وخلف الأذنين وترميها أمام الشجرة وتعود إلى البيت.

*الطّالب أو الطّلبة هم من يحفظون القرآن الكريم، وكثير منهم يقوم بعلاج الأمراض عن طريق" التسباب "كما يعرف بالعامية أي كتابة بعض الآيات القرآنية، في إناء وغسل هذا الإناء وشرب الماء أو في قطع من الحلوى أو الخبز أو أشياء أخرى وأكلها بعد ذلك.

ثالثا : البوسفير L'ictère

لعلاجه تقوم الأم بإحضار عشبة تعرف باسم "مليلس" وتغليها في الماء، ثم يشرب الطفل منه، كما تقوم بطحن قليل من الكمون أو الكركب وهي من أنواع التوابل المعروفة، وتخلطها بعسل النّحل وتضع قليل منها في فم الطفل. كما هناك من تعطي للطفل "بوله" يقوم بشربه، وهناك من تقوم بطبخ البيض في "بول" الطفل ثم يأكله، وذلك يشفيه من البوسفير.

رابعا : البومرود La rougeole

رغم تعميم التلقيح ضد هذا الداء وتوسع نطاقه منذ مطلع الثمانينات، وبالتالي ندرة انتشاره اليوم، إلاّ أنني ارتأيت ذكر طرق علاجه التي كانت سائدة إلى وقت غير بعيد حيث يلبسون الطفل لباسا أحمر اللّون ويطحن قليل من الحلحال وهو عشبة تباع أيضا لدى العطّارين، ويخلط بالزبدة، ويأكل الطفل القليل منه، وهناك من يغلي أزهار النعمان الحمراء، في الماء ليشرب منه الطفل بعد ذلك.

خامسا : السعال الديكي

يخلط قليل من سكر القندلي بالحليب ويشربه الطفل أو تدهن جنبي الطفل بالكحول أو "القاز"، ويدفى بألبسة صوفية، حتى يشفى.

أو يقطع خضار "اللفت" دوائر صغيرة، وتُرَّش بالسكر القندلي، ثم يقوم المريض بأكلها فيشفى من السّعال.

سادسا: كثرة البكاء

أو ما يعرف بالعامية بالحرنة، فعادة ما يعتقد أن مصدرها العين الشريرة، فتنـــزع العين بالطريقة التي أوردتها سابقا، وإذا ما لم تجدي هذه الطريقة نفعا، فهناك قبة سيدي محمد يحي القرابة الشعبي، بمدينة سيدي بلعباس، وقبة سيدي بن سكران، وسط المدينة، تزاران لهذا الغرض فيؤخذ الطفل الذي يكثر من البكاء إلى ساحة إحدى القبتين، وتقوم والدته بدق مسمار في أحد أطراف لباسه فوق بلاط الساحة ثم تقوم برفع الطفل بسرعة، بحيث يبقى قليل من قماش اللباس ملتصق بالمسمار، والمعتقد من وراء هذا الأسلوب هو أن البكاء يبقى ملتصق أيضا بذلك المكان.

وبعيدا عن أساليب التطبيب الممارسة، فهناك بعض التقاليد التي تعود الناس على ممارستها كأن يذبح الديك عند ولادة البنت، والدجاجة عند ولادة الولد، وذلك حتى يتزوج كل منهما ولا يبقيان من دون زواج.

أو بالنسبة للطفل الذي ينام نهارا ويستيقظ ليلا فيكفي أن تقوم الأم بلبس ألبستها بالمقلوب وتلبس طفلها الألبسة الداخلية بعكس ما تعودت فعله، ثم تقوم بكنس البيت من الخارج إلى الداخل بدل العكس، حتى يعود الطفل إلى عادة النوم ليلا والاستيقاظ نهارا.

كما أن الطفل الذي يتأخر في المشي فتقوم والدته بإحضار سلحفاة إلى البيت وتغسل له أقدامه فوق السلحفاة، وتضع رجلاه سبعة مرات متتاليات فوقها، وتنتظر أن يمشي الطفل بعد ذلك، وفور رميه الخطوات الأولى، ترمي الأم قليل من الماء بين رجليه، حتى يجري كالماء.

أمّا بالنسبة للذي لا يتكلم باكرا، فتجمع له سبعة ألسنة خرفان، يشترط فيها أن تكون أضحيات عيد، وتقوم بطبخهم وتقديمهم للطفل ليأكل منها.

وحتى يبقى الطفل هادئ وكثير النوم وقليل البكاء، فتخرج النفساء من مكانها إلى خارج البيت، وفي سرّها تحضر حجرة بإصبع رجلها إلى غاية داخل البيت، ثم تضعها في سرير الطفل أو المهد، فيبقى كالحجرة ساكنا وهادئا.

وعندما تخرج الأم لأول مرة وليدها من البيت، تضع في سريره "كسكاس"، وهو الإناء الذي يطبخ فيه الكسكس، حتى لا يأخذ مكانه قرينه من الجّن .وعند عودتها تمسح له أقدام رجليه بملعقة كبيرة وتردد : "قلعتلك الشوك بالمغرف" حتى لا يسقط أو تصيبه العين.

وعندما يبلغ تسعة أشهر أو السنة، هناك من يحلق له رأسه، ويؤخذ عادة إلى الحمام ويدخل بالشموع والزغاريد وعند استحمامه ترمي الأم باللباس الذي دخل به في ركن من أركان الحمام والاعتقاد من وراء هذا الفعل هو ترك المرض والألم مع ترك اللباس، كما ترشه بالسكر والكمون وعند خروج الأم من الحمام فلا ترضع طفلها بعد ذلك مباشرة حيث يكون الحليب ساخنا وقد يضر الطفل، وعليها أن تضع أقدامها في الماء البارد حتى يبرد الحليب في جسدها، بعد ذلك فقط يمكنها أن ترضعه.

وفي قدوم العيد الكبير كما يعرف بالعامية أي عيد الأضحى تضع الأم لطفلها قليل من الحنة في يد اليسرى ورجله اليمنى أو العكس ويقال أنه من الأحسن أن تضع له الحنة في العيد الكبير حتى يشب قلبه كبيرا ولا يكون سريع الغضب.

وعندما تريد المرضعة فطم طفلها، فتضع قليل من مادة تباع لدى العطّارين تعرف باسم "مر واصبر" نظرا لمرارة ذوقها، وذلك حتى ينفر من طعم الحليب ويستطيع نسيان عادة الرضاعة.

كما هناك طريقة أخرى وهي "التسباب" الذي سبق وأن شرحت معناه أي أخذه عند الطالب ليكتب له في البيض المسلوق أو في الحلوى ويقوم بأكلها الطفل وقد استطعت أن استجوبت أحد هؤلاء الطُّلّبة وسألته عن محتوى ما يكتبه فرّد عليّ بذكر الآية التالية:

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون له عدوا وحزنا إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين، وقالت لأخته قصّيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (1)

(1) الآيات 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12 من سورة القصص.

أو تكتب فقط الآية من﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾(1) ويأكل الطفل قطعة الحلوى أو البيضة التي تكتب فيها الآية القرآنية الكريمة.

ووفقا للعادات والتقاليد دائما، فإن الطفل الذي يسيل لعابه كثيرا يقال بأنه "مرزوق" أي يجلب الرزق لوالديه عندما يكبر كما أن ذلك الذي يتخذ شعره شكل دائري ويأخذ كشكل النحلة يقال عنها أنها "نحلة الربح" أي أنه سعيد الطالع والطفل الذي يضع أحد رجليه فوق الأخرى عندما ينام يقال بأن أمه ستلد بعده مثله في الجنس إن كان ذكرا أو أنثى.

والطفل الذي يضحك كثيرا عندما يدغدغ يقال أنه يكبر غيورا من غيره إلى غير ذلك من الاعتقادات الكثيرة السائدة، وهي كثيرة، وفي المبحث الموالي سوف أتطرق إلى نتائج الاستجوابات والاستمارات التي قمت بها في مصلحة طب الأطفال.

(1)الآية رقم 11 من سورة القصص.

استمارة البحث

السن:	التاريخ: .....
العنوان (المنطقة):	
عدد الأطفال:	
المستوى الدراسي:	

الرجاء الإجابة على الأسئلة التالية:

س1: أين تمت الولادة ؟

-في البيت ☐

-في عيادة التوليد ☐

س2: هل قام الطبيب بفحص الطفل بعد الولادة ؟

نعم ☐ لا ☐

س3: ماذا تناول طفلك بعد ولادته، ما عدى الحليب (؟

س4: كيف تم علاج الحبل السري ؟

-الكحل ☐

-الحنة ☐

-أدوية ☐

-وسيلة أخرى ☐

س5: كيف تمت وقاية عيني الطفل ؟

الكحل ☐

-نترات الفضة ☐

-وسيلة أخرى ☐

س6: كم استحم طفلك من مرة ومتى ؟

.....

.....

س7: هل قمت بتدليك الطفل بالزيوت ؟

نعم ☐ لا ☐

إذا كان الجواب بنعم فبأي نوع من الزيوت ؟

س8: أي نوع من الحفاظات تستعملين ؟

تقليدية ☐ حديثة ☐

س9: من أين تستمدين أساليب رعاية الأطفال ؟

-الطبيب ☐

-المحيط العائلي ☐

-مراجع وكتب ☐

س10: أي مرض من الأمراض التالية تعرض له طفلك ؟

-الإسهال ☐

-التهابات الجهاز البولي ☐

-احمرار العين عند الولادة ☐

-التهاب المؤخرة ☐

-نقص الماء في الجسم ☐

الرمز	السن	العنوان	عدد الأطفال	المستوى الدراسي	الوظيفة
م-1	20	سعيدة	1	الثامنة أساسي	بدون
م-2	25	س.بلعباس.	1	ليسانس إنجليزية	كاتبة ضبط
م-3	28	تلموني	2	السادسة أساسي	بدون
م-4	26	س.بلعباس	2	بدون	بدون
م-5	21	س.علي بن يوب	2	التاسعة أساسي	حلاقة
م-6	30	س.بلعباس	2	الرابعة ابتدائي	موظفة
م-7	27	زليفة	1	السادسة أساسي	بدون
م-8	39	س.بلعباس	6	السادسة أساسي	بدون
م-9	30	س.بلعباس	3	الرابعة أساسي	بدون
م-10	34	س.بلعباس	2	النهائي	موظفة
م-11	40	تسالة	4	بدون	بدون
م-12	29	س.بلعباس	3	السادسة أساسي	بدون
م-13	39	س.بلعباس	4	الخامسة أساسي	بدون
م-14	21	س.بلعباس	1	التاسعة أساسي	بدون
م-15	38	س.بلعباس	3	النهائي	بدون
م-16	37	يوب	6	الأولى أساسي	بدون
م-17	21	سفيون	1	الخامسة أساسي	بدون
م-18	33	س.بلعباس	3	السادسة أساسي	بدون
م-19	37	س.بلعباس	6	النهائي	خياطة
م-20	37	سفيزف	5	بدون	بدون
م-21	27	س.بلعباس	3	الثالثة متوسط	بدون
م-22	34	س.بلعباس	3	بدون	بدون
م-23	20	تلموني	1	بدون	بدون
م-24	28	س.بلعباس	1	بدون	بدون
م-25	28	س.بلعباس	3	بدون	بدون

م-26	23	س.بلعباس	2	الرابعة متوسط	بدون
م-27	21	س.بلعباس	1	النهائي	بدون
م-28	33	س.بلعباس	2	تقني سامي	موظفة
م-29	32	س.بلعباس	3	السادسة أساسي	بدون
م-30	23	س.بلعباس	1	الثامنة أساسي	بدون
م-31	37	س.بلعباس	4	السادسة أساسي	بدون
م-32	35	تلاغ	4	البكالوريا	بدون
م-33	36	س.بلعباس	2	السادسة أساسي	بدون
م-34	35	مسيد	6	السادسة أساسي	بدون
م-35	29	تلمسان	3	السادسة أساسي	بدون
م-36	24	تلاغ	2	بدون	بدون
م-37	37	سفيزف	3	شهادة التعليم الابتدائي	بدون
م-38	29	س.بلعباس	1	النهائي	بدون
م-39	25	بلعربي	2	النهائي	بدون
م-40	39	س.بلعباس	1	الثانوي	بدون
م-41	32	س.بلعباس	1	السادسة أساسي	بدون
م-42	27	س.بلعباس	2	السادسة أساسي	موظفة
م-43	22	س.بلعباس	1	السابعة أساسي	بدون
م-44	27	سفيون	2	الثانوي	بدون
م-45	34	س.بلعباس	4	النهائي	بدون
م-46	26	تنزارة	4	السادسة أساسي	بدون
م-47	25	س.بلعباس	1	الثامنة أساسي	بدون
م-48	45	س.بلعباس	12	الثانية أساسي	بدون
م-49	37	س.بلعباس	5	الثانية أساسي	بدون
م-50	37	س.بلعباس	3	الرابعة متوسط	ممرضة

م-51	30	س.بلعباس	2	ليسانس أدب	موظفة
م-52	34	تسالة	4	بدون	بدون
م-53	38	سفيزف	3	بدون	بدون
م-54	54	تسالة	4	بدون	بدون
م-55	41	تنيرة	3	بدون	موظفة
م-56	39	سفيزف	1	بدون	بدون
م-57	28	سفيزف	2	بدون	بدون
م-58	43	س.بلعباس	2	النهائي	موظفة
م-59	38	س.بلعباس	2	جامعي	موظفة
م-60	34	عين تريد	3	بدون	بدون
م-61	36	مرين	2	السادسة أساسي	حلاقة
م-62	38	دلاهيم	3	النهائي	موظفة
م-63	31	سفيزف	1	جامعي	معلمة
م-64	45	تلموني	7	بدون	بدون
م-65	52	بلعربي	9	بدون	بدون
م-66	34	تلاغ	3	السادسة ابتدائي	موظفة
م-67	28	تغاليمات	4	أولى ثانوي	بدون
م-68	40	تلاغ	5	الثانية ابتدائي	بدون
م-69	26	سفيزف	3	التاسعة أساسي	بدون
م-70	25	زليفة	1	التاسعة أساسي	بدون
م-71	34	س.بلعباس	2	جامعي	موظفة
م-72	20	س.بلعباس	1	النهائي	موظفة
م-73	28	س.بلعباس	3	جامعي	بدون
م-74	23	س.بلعباس	1	جامعي	بدون
م-75	37	س.بلعباس	5	بدون	بدون

م-76	53	الضاية	8	بدون	بدون
م-77	60	طابية	7	بدون	بدون
م-78	37	س.علي بن يوب	6	السادسة	ابتدائي
م-79	25	برشبكة	2	النهائي	بدون
م-80	33	سيدي لحسن	3	النهائي	بدون
م-81	21	سيدي لحسن	1	التاسعة أساسي	بدون
م-82	43	س.بلعباس	7	بدون	بدون
م-83	52	س.بلعباس	4	بدون	بدون
م-84	26	س.بلعباس	2	النهائي	بدون
م-85	33	الحاديد	2	الرابعة أساسي	بدون
م-86	44	تسالة	4	بدون	بدون
م-87	50	مصطفى بن براهيم	6	بدون	بدون
م-88	54	عين البرد	4	بدون	بدون
م-89	27	سفيزف	3	النهائي	بدون
م-90	39	سعيدة	2	جامعي	موظفة
م-91	43	مرين	5	الثانية ابتدائي	بدون
م-92	25	مرحوم	1	السابعة أساسي	بدون
م-93	39	واد سبع	2	بدون	بدون
م-94	20	س.بلعباس	1	شهادة البكالوريا	بدون
م-95	30	سفيزف	2	بدون	بدون
م-96	34	تغاليمات	3	النهائي	بدون
م-97	27	عين البرد	3	النهائي	بدون
م-98	25	تلموني	2	السادسة أساسي	حلاقة
م-99	43	س.لحسن	4	بدون	بدون
م-100	55	برشبكة	5	بدون	خياطة

السؤال الأول	السؤال الثاني	السؤال الثالث
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل، كحل، حنة
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
في البيت	لا	لا شيء
عيادة التوليد	نعم	لا شيء
في البيت	لا	النيلة والحنتيت
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل، صفار البيض
عيادة التوليد	نعم	صفار البيض، زيت الزيتون
عيادة التوليد	نعم	الكمون والعسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	صفار البيض، النيلة، البارود
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	لا	عسل
عيادة التوليد	لا	لا شيء
عيادة التوليد	نعم	البارود، النيلة والعسل
عيادة التوليد	نعم	زيت المائدة
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل

عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	لا شيء
عيادة التوليد	نعم	زيت الزيتون والعسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
في البيت	لا	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	زيت الزيتون، صفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	لا	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	النيلة، الفيجل، العسل
عيادة التوليد	نعم	لا شيء
عيادة التوليد	نعم	زيت الزيتون، صفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
في البيت	لا	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل، صفار البيض
عيادة التوليد	نعم	حنة، زيت الزيتون
في البيت	لا	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل

عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	لا	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	صفار البيض والسكر
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	لا شيء
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	لا	عسل
عيادة التوليد	لا	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	صفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل، صفار البيض، بصل مفروم، حنة، البارود
في البيت	لا	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	لا شيء
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل، كحل، صفار البيض، البارود
عيادة التوليد	نعم	زيت المائدة
عيادة التوليد	نعم	عسل، زيت الزيتون

عيادة التوليد	نعم	لا شيء
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل، صفار البيض، زبدة، زيت الزيتون
عيادة التوليد	نعم	زيت المائدة
عيادة التوليد	نعم	عسل، نقيع البصل المفروم، الحنة، زيت، حنتيت
عيادة التوليد	نعم	لا شيء
عيادة التوليد	نعم	عسل، زيت الزيتون، النيلة، الفيجل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
في البيت	لا	عسل، صفار البيض، زيت الزيتون، النيلة
في البيت	لا	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل، صفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل، صفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض
عيادة التوليد	نعم	عسل وصفار البيض

السؤال الرابع			
الكحل	الحنة	أدوية Eosine	وسيلة أخرى
كحل	حنة		
كحل	حنة		
كحل	حنة		
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
			زيت الزيتون
	حنة		زيت الزيتون
كحل	حنة		
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
كحل			زيت الزيتون
	حنة		
كحل	حنة		
		أدوية Eosine	
	حنة		التمر
كحل	حنة		

		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
	حنة		التمر
	حنة		زيت الزيتون
كحل	حنة		
كحل	حنة		
كحل	حنة		
كحل	حنة	أدوية Eosine	
	حنة		
			التمر
	حنة		
			Dakin
			Dakin
كحل			زيت الزيتون
كحل	حنة		
		أدوية Eosine	
	حنة		
	حنة		
	حنة		
كحل			
		أدوية Eosine	Dakin
	حنة		التمر

		أدوية Eosine	
كحل		أدوية Eosine	
	حنة	أدوية Eosine	
كحل	حنة	أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
كحل		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
	حنة	أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
كحل		أدوية Eosine	
	حنة		
كحل		أدوية Eosine	
	حنة		
كحل		أدوية Eosine	

	حنة		
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
كحل		أدوية Eosine	
كحل	حنة		زيت الزيتون
			زيت الزيتون
كحل	حنة	أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	Dakin
كحل	حنة		
كحل	حنة	أدوية Eosine	
كحل	حنة		
كحل	حنة	أدوية Eosine	
كحل	حنة		
	حنة		
	حنة		
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	
		أدوية Eosine	

السؤال الخامس		
الكحل	نترات الفضة	وسيلة أخرى
		لا شيء
		لا شيء
		لا شيء
كحل		
	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
كحل	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
كحل	نترات الفضة	
كحل	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
كحل	نترات الفضة	
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
	نترات الفضة	
كحل		

كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
		لا شيء
	نترات الفضة	
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
	نترات الفضة	
كحل		
	كحل	
		لا شيء
	نترات الفضة	

	نترات الفضة	
كحل		
كحل		
كحل	نترات الفضة	
كحل		
	نترات الفضة	
		لا شيء
كحل		
كحل		
كحل		
كحل	نترات الفضة	
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
كحل		
كحل		
كحل		
كحل	نترات الفضة	
كحل	نترات الفضة	
	نترات الفضة	

	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
		لا شيء
كحل		
	نترات الفضة	
		لا شيء
كحل		
كحل		
كحل	نترات الفضة	
	نترات الفضة	
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		لا شيء
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		
كحل		

السؤال السادس
يوميا
لم يستحم بعد (عمره أربعة أشهر)
مرة كل أسبوع
مرتين في الأسبوع
لم يستحم بعد (عمره ستة أشهر)
مرة كل يوم في الصيف فقط
مرة في الأسبوع
مرتين في الشهر
03 مرات في الشهر
مرة واحدة عند بلوغه ستة أشهر
مرة واحدة عند بلوغه التسعة أشهر
لم يستحم بعد (عمره ثمانية أشهر)
مرة كل أسبوع
مرة في الشهر
يوميا
مرة كل أسبوع
مرة كل شهر
يوميا
لم يستحم بعد (عمره شهرين)
لم يستحم بعد (عمره ستة أشهر)
لم يستحم بعد (عمره ثمانية أشهر)
مرة كل أسبوع
مرتين في الأسبوع
مرتين في الأسبوع
مرة كل أسبوعين

مرة في الشهر
مرة واحدة عند بلوغه ستة أشهر
لم يستحم بعد (عمره سنة)
مرة في الشهر
مرة كل أسبوع
يوميا
لم يستحم بعد (عمره سنة)
لم يستحم بعد (عمره ستة أشهر)
مرة كل شهر
مرة في الأسبوع
مرة كل شهر
ثلاث مرات في الأسبوع
مرة في الشهر
لم يستحم بعد (عمره سنة)
لم يستحم بعد (عمره سنة)
لم يستحم بعد (عمره شهر)
لم يستحم بعد (عمره ستة أشهر)
مرة في الشهر
مرة في الأسبوع
يوميا
مرة في الأسبوع
مرة في الشهر
لم يستحم بعد (عمره 03 أشهر)
مرة في الشهر
مرة في الأسبوع

يوميا
مرة كل يوم
مرة واحدة عند بلوغه الستة أشهر
مرة في الشهر
مرة كل يومين
مرة كل أسبوع
مرة كل أسبوع
مرة كل يوم
مرة كل أسبوع
مرة في الشهر
مرة في شهرين
مرتين في الأسبوع
مرة كل ثلاثة أيام
مرتين في الأسبوع
مرة في الشهر
ثلاثة مرات في الأسبوع
ثلاثة مرات في الشهر
مرة في الشهر
مرة عند بلوغه الستة أشهر
لم يستحم بعد (عمره شهر واحد)
مرة كل أسبوعين
مرة كل أسبوعين
لم يستحم بعد (عمره 03 أشهر)
لم يستحم بعد (عمره 06 أشهر)
لم يستحم بعد (عمره 02 شهرين)

لم يستحم بعد (عمره شهر واحد)
لم يستحم بعد (عمره 08 أشهر)
لم يستحم بعد عمرد سنة)
لم يستحم بعد عمره 07 أشهر)
يوميا
لم يستحم بعد
يوميا
أربعة مرات بمعدل مرة كل شهر
مرة في أسبوعين
مرة في الأسبوع
مرتين في الأسبوع في فصل الصيف فقط
لم يستحم بعد (عمره 04 أشهر)
يوميا
مرة كل أسبوعين
مرة كل يومين في الصيف فقط
مرة كل يومين في الصيف فقط
مرة في الأسبوع في الصيف فقط
لم يستحم بعد (عمره شهرين ونصف)
مرة واحدة (عمره ثمانية أشهر)
ثلاثة مرات (عمره ثمانية أشهر)
مرة واحدة (عمره خمسة أشهر)
لم يستحم بعد (عمره خمسة أشهر)
مرة كل أسبوع
لم يستحم بعد (عمره ثمانية أشهر)
مرة كل ثلاثة أيام في فصل الصيف فقط

السؤال السابع			
نعم	زيت المائدة	زيت الزيتون	لا
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
	زيت المائدة		
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
	زيت المائدة		
	زيت المائدة		
	زيت المائدة		
	زيت المائدة		
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	

		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
	زيت المائدة		
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
	زيت المائدة		
	زيت المائدة		
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	

		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
	زيت المائدة	زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
			لا
	زيت المائدة		
		زيت الزيتون	

		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
	زيت المائدة		
	زيت المائدة		
	زيت المائدة		
		زيت الزيتون	
			لا
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	
		زيت الزيتون	

السؤال الثامن		
حفاظات تقليدية	حفاظات حديثة	
	دائما حديثة	في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		

تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
	دائما حديثة	في المناسبات
	دائما حديثة	في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		

تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
	دائما حديثة	
	دائما حديثة	
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات

	دائما حديثة	في المنسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		في المناسبات
تقليدية		
تقليدية		في المنسبات
تقليدية		في المناسبات

السؤال التاسع		
الطبيب	المحيط العائلي	مراجع وكتب
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
		مراجع و كتب
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب		
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	

	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب		
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب		
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	

الطبيب		
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب		
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	

	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب		
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب		
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب		
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
	المحيط العائلي	
الطبيب		

السؤال العاشر				
الإسهال	ألتهابات الجهاز البولي	احمرار العين	التهابات المؤخرة	نقص الماء في الجسم
الإسهال			التهابات المؤخرة	نقص الماء في الجسم
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين		
الإسهال	التهابات الجهاز البولي	احمرار العين	التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين	التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال				نقص الماء في الجسم
الإسهال			التهابات المؤخرة	
		احمرار العين		
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين		
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال				
الإسهال			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	

الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
		احمرار العين		
			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال				نقص الماء في الجسم
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين	التهابات المؤخرة	نقص الماء في الجسم
			التهابات المؤخرة	

الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال				
الإسهال				
	التهابات الجهاز البولي	احمرار العين		
الإسهال				نقص الماء في الجسم
			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال				
الإسهال				
	التهابات الجهاز البولي		التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	نقص الماء في الجسم
			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال				
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	

الإسهال		احمرار العين	التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين	التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين	التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين	التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
			التهابات المؤخرة	
		احمرار العين		
الإسهال				
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين		
الإسهال			التهابات المؤخرة	نقص الماء في الجسم
الإسهال			التهابات المؤخرة	
الإسهال		احمرار العين	التهابات المؤخرة	

تفريغ البيانات في جداول مع قراءة في النتائج :

س1: أين تمت الولادة ؟

المنزل	عيادة التوليد
08	92

س2: هل قام الطبيب بفحص الطفل بعد ولادته ؟

نعم	لا
85	15

س3: ماذا تناول طفلك بعد ولادته (ما عدى الحليب) ؟

لا شيء	10
عسل	50
عسل وأشياء أخرى: مثل صفار البيض أو النيلة أو البارود أو الحنتيت أو الحنة أو الكحل أو زيت الزيتون أو زيت المائدة أو الكمون أو الفيجل أو تقيع البصل المقوم أو الزبدة	40

س4: كيف تم علاج الحبل السري ؟

الكحل	30
الحنة	39
مادة الإيوزين	61
وسيلة أخرى: -زيت الزيتون -التمر -Dakin	15 منهم 04 يستعملون Dakin

س5: كيف تمت وقاية عيني الطفل ؟

الكحل	66
نترات الفضة	43
لا شيء	11

س6: كم استحم طفلك من مرة ومتى ؟

يستحم يوميا	12
مرة في الأسبوع	17
مرة في الشهر	15
لم يستحم قبل بلوغه الستة أشهر أو أكثر	32

س7: هل قمت بتدليك طفلك بالزيوت ؟

نعم	زيت المائدة	13
	زيت الزيتون	77
لا	10	

س8: أي نوع من الحفاظات تستعملين ؟

تقليدية	95	
حديثة	دائما	05
	في المناسبات	38

س9: من أين تستمدين أساليب العناية بطفلك ؟

الطبيب	10
المحيط العائلي	89
مراجع وكتب	1

س10: أنواع الأمراض التي تعرض لها الطفل ؟

الإسهال	61
التهابات الجهاز البولي	3
احمرار العين	15
التهابات المؤخرة	72
نقص الماء في الجسم	07

قراءة في البيانات:

لقد عرضت من خلال هذا البحث تلك العادات والتقاليد التي تحيط بعملية رعاية الطفل الرضيع في منطقة سيدي بلعياس، وذلك من خلال دراسة عينة تكون في اعتقادي ممثلة، لشريحة حريصة على اتباع العادات والتقاليد أكثر من غيرها، وهي شريحة ريفية أكثر منه حضرية، وهي ممثلة لتلك المجتمعات التقليدية التي وصفها العديد من علماء الاجتماع بميزات معينة، نذكر منها آراء "د.هاجن E.Hagen " (1) الذي وضع نظرية عن التغير الاجتماعي، والتي حدد فيها مظاهر المجتمع التقليدي، في خمسة وهي:

أ-طرق السلوك التي تستمر مع تغير قليل وتنقل من جيل إلى جيل.

ب-السلوك المحكوم بالعرف وليس بالقانون.

ج-النسق الاجتماعي الذي يؤثر بالتدرج الثابت في العلاقات الاجتماعية الأساسية.

د-عادة ما يكون وضع الفرد في المجتمع موروثا أكثر منه مكتسبا.

هـ-انخفاض الإنتاجية الاقتصادية.

أما من حيث قابلية تغير هذا النوع من المجتمعات فإنه يميل إلى رفض كل ما هو جديد والتمسك بالنماذج الموروثة، بحيث ينظر أفراده إلى أي تغيير كعمل شاذ ويشكل انتهاكا للأشكال التقليدية.

(1) د.محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، الصفحة 05.

ومن بين المائة مستجوبة، 53 واحدة تنتمين للدوائر والبلديات وحتى اللواتي ينتمين للمدن، فينحدرن في الغالب من أطراف المدينة وهن أيضا حريصات على اتباع العادات والتقاليد كونهن أمام رعاية فلذات أكبادهن، وأغلبهن يبررن ذلك الحرص، على أساس أن الأمهات من الأجيال السابقة، لم يتبعن أبدا الوسائل الحديثة الطبية، ورغم ذلك، فقد شب أطفالهن بشكل جيد وسليم وصحي، وكثيرا ما رددت لي تلك المستجوبات بعض الأمثلة الشائعة، كـــ "سال المجرب ولا تسال الطبيب"، أو "الوالفة خير من التالفة"، بمعنى أن أساليب الرعاية المألوفة خير من تلك الحديثة.

وبقراءة في النتائج المستخلصة من الجداول بعد تفريغ البيانات، يتبين لنا بالنسبة الإجابة على السؤال الأول، أن انتشار القطاعات والمراكز الصحية التي تغطي بالتقريب كل تراب الولاية، سهل من عملية الولادة التي أصبحت تتم في ظروف طبية حسنة، ورغم هذا فمن بين أفراد العينة المستجوبة هناك ثمانية نساء قامت بالولادة في البيت، ومن بين المائة مستجوبة 85 قام الطبيب بفحص أطفالهن فور الولادة، و15 لم تتح لهن هذه الفرصة.

وبالنسبة لإفطار الطفل فور ولادته، فـــ 90% من المستجوبات يقدمن لأطفالهن، سواء العسل أو العسل مرفوق بأشياء أخرى، كالفيجل أو زيت الزيتون أو الحنتيت أو البارود وغيرها من الأشياء والحقيقة أن كل الأطباء بالمصلحة لا يحبذون ذلك لما قد يكون له من تأثير على فسيولوجية الرضيع الحديث الولادة وهنا أيضا استوقفني مقال في جريدة مفاده بأن:"وزارة الصحة الألمانية تحذر من تغذية الأطفال الرضّع، من عمر دون السنة الواحدة بعسل النحل وذكرت في تصريح نشرته مجلة فوكوس الألمانية المعروفة أن العسل

يحتوي على مادة كلوستريد البوتيلنيوم السّامة التي قد تؤدي إلى موت الطفل المفاجئ، واستندت الوزارة في تحذيرها إلى تقرير المعهد "روبرت كوخ" التابع لها ذكر أن العسل يؤدي إلى موت الطفل المفاجئ في حالة واحدة من كل 500 حالة وفاة مفاجئة تصيب الرضع في ألمانيا سنويا."(1)

وبالنسبة للسؤال الرابع الخاص بوسائل علاج الحبل السري فقد وضح لنا كيف أن الكثير من النساء يعتمدن على أساليب تقليدية في علاجه، على أساليب تقليدية في علاجه، على اختلاف هذه الوسائل كالحنة والكحل أو التمر والحنة، أو زيت الزيتون وهناك من يستعمل هذه الوسائل بالإضافة لوسائل طبية كالإيوزين Eosine.

ونفس الشيء بالنسبة للسؤال الخامس الخاص بوقاية عيني الطفل، فـ 66% يستعملن الكحل و43 % يستعملن نترات الفضة في شكل قطرات "Des gouttes" ومنهن من يستعملن الاثنين، أمام 11 % لا يستعملن أي شيء.

وعكس توصيات الأطباء التي تفيد بضرورة غسل الطفل يوميا أو على الأقل مرة في كل أسبوع وجدنا أن 32% لم يغسلن أطفالهن في الشهور الأولى من الحياة خشية إصابتهم بالبرد، وهو اعتقاد سائد لديهم أمام 12 % فقط يغسل لأطفالهن يوميا.

في حين 90% تفضلن التدليك للأطفال بالزيوت، سواء كان زيت الزيتون أو زيت المائدة في حالة عدم وفرة الأول، ويعتقدن بأن هذه العملية تُرضي الطفل وتساعده على النوم بسهولة.

(1) عن الوكالات، عالم الصحة :تحذير من تغذية الرضع بالعسل، الرأي، العدد 1001 الصادر بتاريخ السبت 11 أوت 2001، الصفحة 13.

وبالنسبة للسؤال الثامن المتعلق بنوعية الحفاظات المستعملة وجدنا بأن 5% فقط من المستجوبات يستعملن الحفاظات الحديثة بانتظام في حين 95% يستعملن التقليدية و38 % منهن يستعملن الحفاظات الحديثة في المناسبات وقد فاجأتني إحدى السيدات من سكان إحدى المناطق بالريف ذات مستوى اجتماعي معيشي بسيط بالقول أنها لاقت مشاكل كثيرة مع أم زوجها المسنة حيث أن هذه الأخيرة كانت تمنع الزوج من شراء الحفاظات التقليدية، وفقو ذلك، وأمام ندرة الماء، تأمر الزوجة بالاكتفاء بتجفيف الحفاظات التقليدية في الشمس، ثم نفض الفظلات منها، وإعادة وضعها للطفل من جديد.

وهذه الحالة، إنما تقدم لنا صورة أخرى عن سيطرة النساء المسنات في العائلة وإشرافهن على توجيه، وإعطاء النصائح للأمهات الحديثات الولادة.

وجل الإجابات على السؤال التاسع تؤكد ذلك، فنجد 89% من العينة، تستقي أساليب رعاية الأطفال من المحيط العائلي، و10 % فقط تعتمدن في ذلك على الطبيب، و1% على المرجع والكتب المخصصة لهذا الغرض.

وقد ذكر لي الأطباء بمصلحة طب الأطفال بالولاية، أن السبب الأول في وفيات الأطفال من عمر دون السنة في البلدان النامية هو الإسهال، الذي هو نتيجة مباشرة لقلة النظافة.

وأخيرا نجد الإجابة على السؤال العاشر التي كانت في محتواها مرتبطة بالسؤال السادس حول استحمام الطفل، فنجد بأن أكثر الأمراض انتشارا في وسط الأطفال هي التهابات المؤخرة، والإسهال وكلى المرضين حسب الأطباء، مردهما قلة النظافة، واستعمال الحفاظات التقليدية.

وفي ما يلي رسوم بيانية لتوضيح هذه النتائج:

قراءة في الرسم البياني (1) :

يتضح بأن 47 مستجوبة، تنتمي للمدينة مركز الولاية ومستجوبتين من مدينة سعيدة و01 من تلمسان، بينما 53 من المستجوبات تنتمين إلى الدوائر والبلديات أو القرى الواقعة في تراب الولاية.

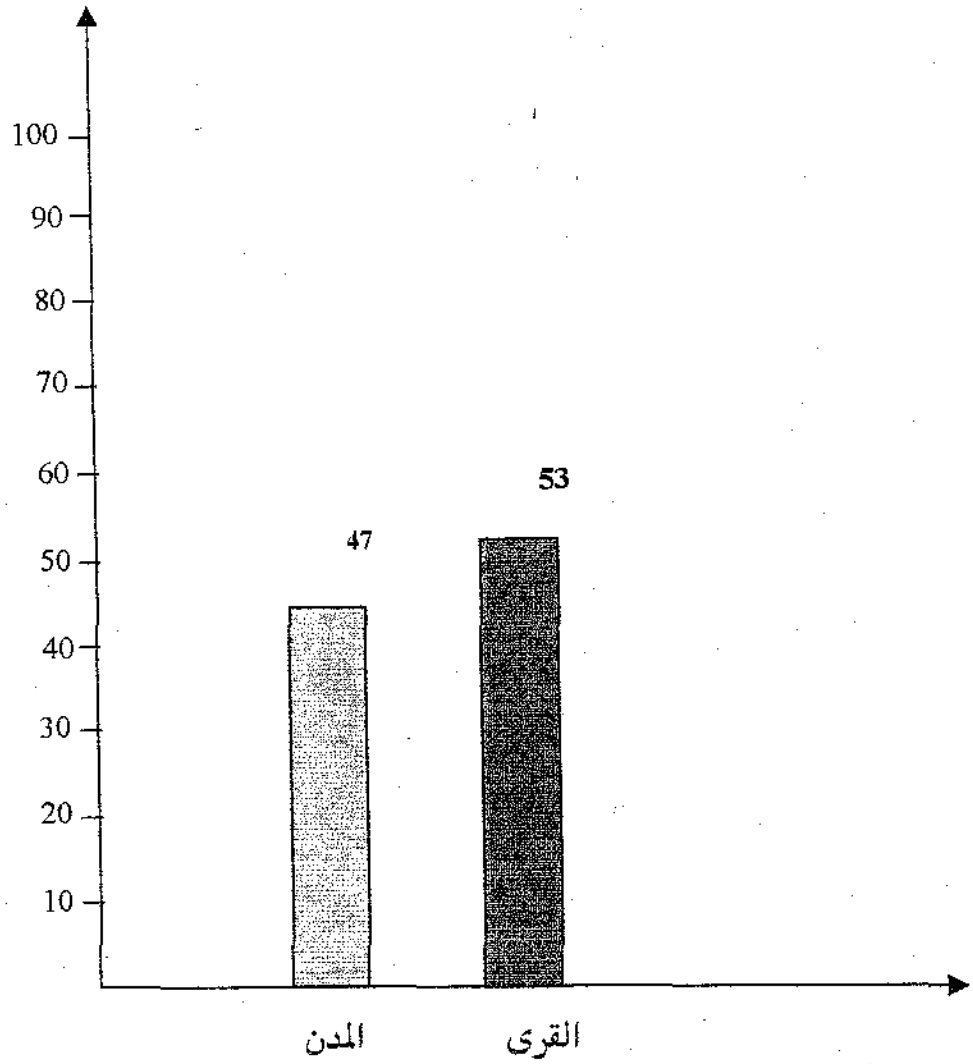

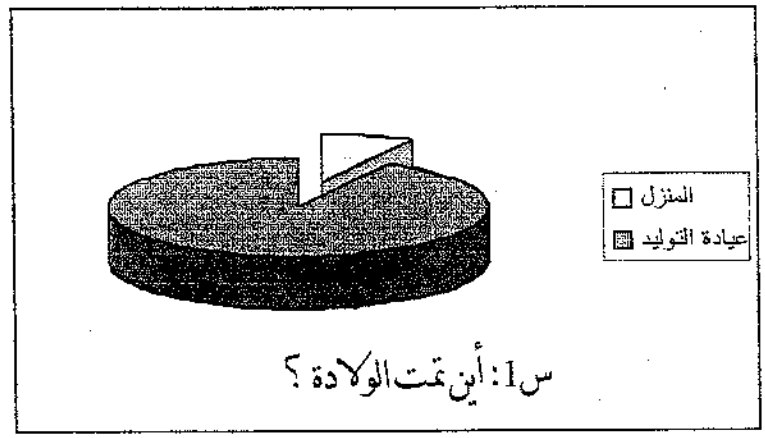

س1: أين تمت الولادة ؟

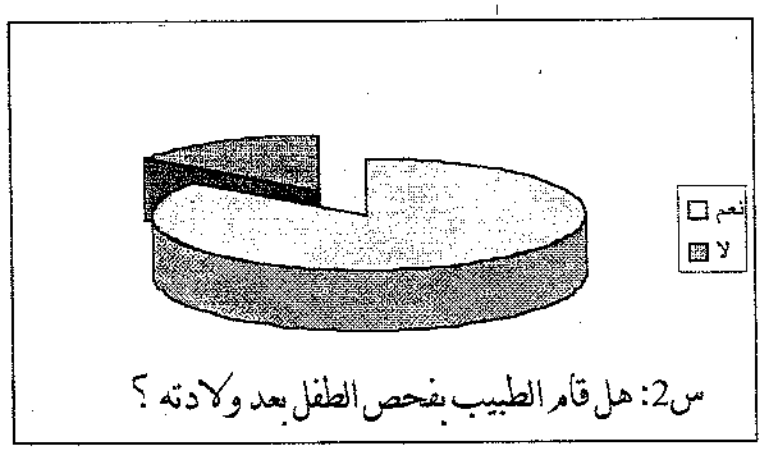

س2: هل قام الطبيب بفحص الطفل بعد ولادته ؟

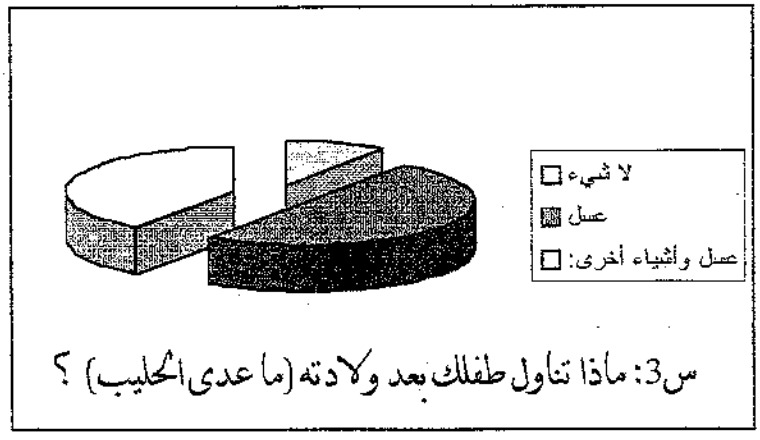

س3: ماذا تناول طفلك بعد ولادته (ما عدى الحليب) ؟

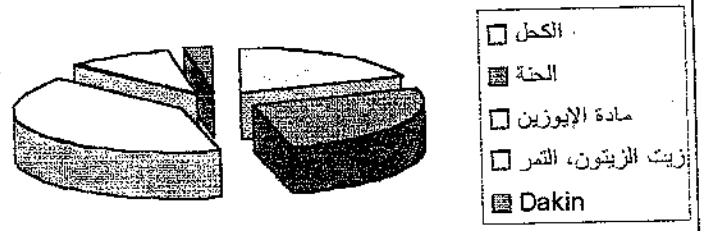

س4: كيف تم علاج الحبل السري ؟

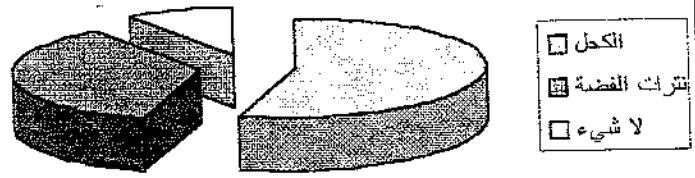

س5: كيف تمت وقاية عيني الطفل

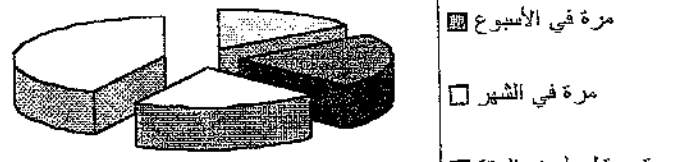

س6: كم استحم طفلك من مرة ومتى ؟

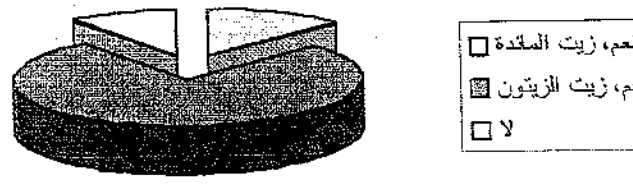

س7: هل قمت بتدليك طفلك بالزيوت ؟

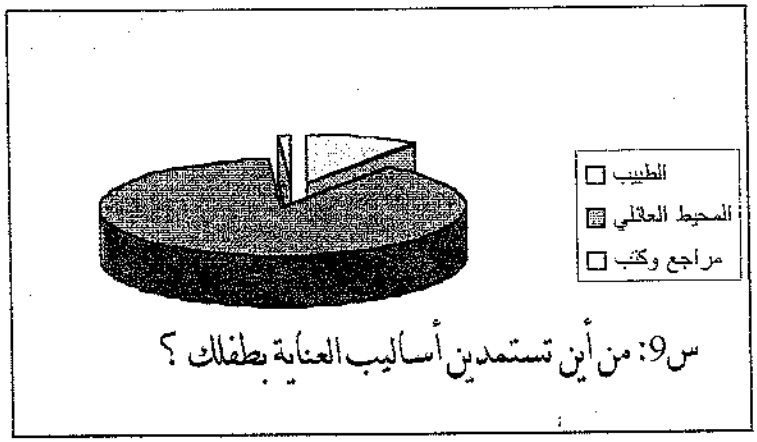

س9: من أين تستمدين أساليب العناية بطفلك ؟

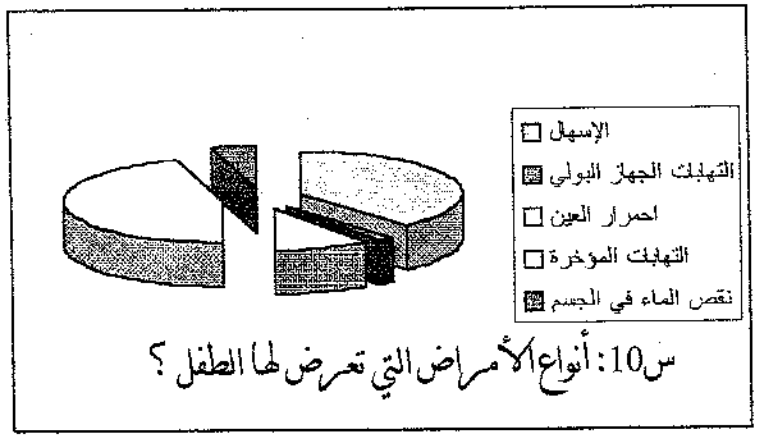

س10: أنواع الأمراض التي تعرض لها الطفل ؟

الخـــاتمـــة

لا أحد يجهل ما للعادات الاجتماعية من قيمة في الحفاظ على وحدة المجتمع وانسجام أنظمته، وقد بيّن ذلك العديد من المفكرين وعلماء الاجتماع والأنتروبولوجيا فنذكر على سبيل المثال، تصنيفات إدوارد روس EDUAR ROSS لوسائل الضبط الاجتماعي، حيث نجد من بينها، العرف والاعتقاد والقيم الاجتماعية والمثل العليا، كما وضع ماكيفر وبيج ضغط النظم السائدة، بأعرافها وتقاليدها من بين أنواع الضغط على الفرد داخل الجماعة والتي ترتكز على تراث اجتماعي يكتسب هيبته وسلطته من قدمه واستمراره على مرّ الأجيال، كما يكتسب قوته من خلال القيم التي يحملها والتي تشكل معايير لقياس الأمور الحياتية المختلفة بالنسبة للأفراد، فتجعلهم يميزون بينما هو خير أو شرير، وما هو جميل مستحب أو قبيح مكروه.

ومن خلال هذا البحث، توصلت إلى جملة من الإستنتاجات لعلّ أهمها:

- أن الاتجاه الواضح في قراءة هذه النتائج هو تعلق الناس بالعادات والتقاليد، كما التمست ميدانيا تلك الرغبة القوية لدى الناس في التمسك بها واحترامها.

- أنّ تلك الرغبة، وإن كانت منتشرة بكثرة في أوساط الريفيين، بسبب طبيعة المجتمع الريفي المتعلق على نفسه والمحافظ على عاداته وتقاليده أو بسبب الإعتبارات المختلفة التي قد تمنع الفرد من التنقل للمراكز الطبية وشراء الأدوية، فإنّ نفس هذه الرغبة منتشرة لدى

سكان المدن، وذلك إعتقادا في الفأل أو التطيّر من إستبدال تلك العادات أو كما يُعبَّر عنها باللغة الفرنسية " La superstition " .

- في أغلب الأحوال، نجد النساء أكثر تمسكا من الرجال بالعادات والتقاليد، ومما ثبت لنا ذلك لكونهن المشرفات على رعاية الأطفال، دون أن نبحث بتعمق في علاقة الرجال ميدانيا بالعادات والتقاليد .

- إن كثير من العادات والتقاليد، تنمو وتترعرع في كنف الاعتقادات التي تدفع الناس للتعلق بها، وكثير من هذه الاعتقادات غير مؤسسة بشكل منطقي وهذا ما ذكرني بقول "سمنر" : "أن أصولها غير منطقية وأن بداياتها ضاعت مع غموض الزمن..."

وقد لاحظنا ذلك ميدانيا وكثيرا ما تساءلت عن تلك العلاقة التي تربط الوسيلة المستعملة بالغاية المرجوة منها في العادة أو التقليد، و الأمثلة عن ذلك كثيرة، نذكر منها، عادة وضع عجلات مطاطية فوق أسقفة المنازل لإبعاد عين الحسّاد .

- ومما أنني قمت بدراستي الميدانية في مصلحة طبية، مكنني ذلك من معرفة بعض الأخطار التي قد تنجم عن اتباع بعض العادات فيما يخص رعاية الرضع، ففضلا عن أخطار تغذيتهم بالعسل، استوقفتني كثير من الحالات التي وضعتني أمام تساؤلات عدة حول جدوى اتباع بعض العادات في مجال التطبيب على الخصوص، كتناول الرضّع دم الكلاب للعلاج من "القرينة" وبعض المواد كالنيلة والبارود أو الأعشاب والتوابل مثل "مليلس" و"الكمون"

و"الكركب" و"الحلحال" قد تكون ضارة في كثير من الأحيان، إذا ما إستعملت بكميات غير مضبُوطة.

أو أيضا أسلوب "التشرط"* للأطفال، وبرأي الأطباء، فإن هذه الأساليب لن تُساعد على العلاج في شيء وإنما قد تعطل من عملية العلاج الحقيقي، وقد ذكر لي بعض الأطباء أن العديد من الحالات تأتيهم متأخرة أو سيؤوس منها بسبب تماطل الأولياء في الاستعانة بهم واعتمادهم على أساليب التطبيب الشعبي وخاصة بالنسبة لأولئك الذين لا يقطنون المدن.

إن موروثنا من العادات والتقاليد، لا يخلو من الخير، ففيه الكثير من الجوانب الإيجابية التي تحدد هويتنا كمجتمع وتعطي لشخصيتنا ملامح وأبعاد خاصة بها، كعادة إرتداء الألبسة التقليدية في المواسم والأعياد والحفلات وعادة تقديم أكلات تقليدية شعبية خاصة بكل منطقة. والطبيعة الإنسانية تجعلنا نحن لكل ما هو منحدر من الماضي، يوصلنا بأسلافنا، ويشعرنا بالأمان، بحكم انتمائنا لثقافة دامت وتوارثت عدة أجيال، وربما يؤكد صمودها أمام التغير سلامة القيم التي تحملها وجدارتها بالاتباع.

*التشـــراط: هو أسلوب متبع في التطبيب الشعبي، ومن طرف من يدعون بأنهم مختصون في ذلك، على أساس أنهم يمتلكون الحكمة من عند الله، ويدعون بأنهم ورثوا هذه الحكمة عن آبائهم وأجدادهم.
أمـــا عن الطريقة المتبعة في ذلك، فيشرط للطفل بين عينيه بواسطة سكين صغير بشكل سطحي، ثم يستخرج له من ذلك المكان قليل من الدم الذي يدلك له به في ظهره، وقد يذوق منه الطفل لكي ينقى من "الليل" أو "البوسفير" أو "القرينة".

ولا يزال الكثير منّا يذكر تلك العادات والتقاليد بكثير من الاعتزاز والافتخار، وفي هذا السياق يشبع المثل القائل: "الجديد حبّه والقديم لا تفرط فيه". فلا تزال بعض العادات القديمة تتبع لحدّ الآن لما يرجى ويُعتَقَدُ فيها من خير، ولما تحمله من قيم مستحبة لدى الناس، فمثلا: رمي بقايا الحبل السري في المسجد إن كانت للولد، أو في ركن من أركان البيت إن كانت للبنت، أو أكل رقبة الشاة التي تذبح في سبوع المولود من طرف الوالدين فقط، كلها عادات تحمل قيم معينة، يسعى المجتمع لتكريسها لدى الأفراد.

ان ما إلتمسته من خلال هذه الدراسة أنّ هذه العادات والتقاليد والإعتقادات الشائعة في الوسط الإجتماعي تشكل جزءا من كيان الفرد وهويته وشخصيته، ورغم تقدّم المستوى الثقافي والعلمي للعديد من الأفراد، فإن إعتقادهم الراسخ في سلامة تلك التقاليد السائدة، يبقى قائما، ومحددا لسلوكاتهم في كثير من المواقف...

وقد صادفتني بعض تلك المواقف حتى بعد إنتهائي من دراستي الميدانية، أذكر منها حالة طفل في الثانية من عمره، ولم يكن ينطق بأي كلمة، ممّا دفع بوالدته وهي إطار سامي في مؤسسّة عمومية وذات مستوى جامعي، أن تتبع عادة وضع مفتاح في فمه كل يوم خميس وذلك إعتقادا منها بأنّ المفتاح، سيفتح فمه، وينطق الطفل بالكلام بعد ذلك.

وكثير مثل هته الحالات تبقى تُثبت المكانة المعزّزة للعادات والتقاليد المتوارثة في نفوس الأفراد.

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

❖القرآن الكريم

❖الحديث الشريف

1- أحمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية -المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1988.

2- أحمد رأفت عبد الجواد: مبادئ علم الاجتماع -مكتبة النهضة، الشرق- جامعة القاهرة.

3- إبن منظور: لسان العرب -المجلد التاسع-بيروت-1956.

4- إميل دوركايم: قواعد المنهج في علم الاجتماع -تقديم عبد الرحمن أبوزيدة- موفم للنشر-1990.

5- الإمام القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بإبن رشد الحفيد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد -دار الفكر- بيروت-الجزء الأول.

6- السيد سايق: فقه السنة-المجلد الثاني-الفتح للإعلام العربي-الطبعة 11- القاهرة-1994.

7-المنجد في اللغة والأعلام-دار المشرق-الطبعة 21-بيروت.

8- جميل صليبا: المعجم الفلسفي -دار الكتاب اللبناني-بيروت-دار الكتاب المصري- القاهرة.

9- جين-د-جراميز: تفهّم العلاقات بين الجماعات -ترجمة عدلي سليمان، دار القلم، بيروت 1964.

10- دنكن متشل: معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعه، إحسان محمد الحسن-دار الطليعة-الطبعة 2-بيروت-1986.

11- ر.بودون وف بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع ترجمة سليم حداد-ديوان المطبوعات الجامعية-الطبعة 1-الجزائر-1986.

12- ر.م.ماكيفر: المجتمع ، شارل بيج-ترجمة علي أحمد عيسى، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر-مكتبة النهضة المصريةالطبعة 2، القاهرة. 1961.

13- رالف،،وين: قاموس جون ديوي للتربية، مختصرات من مؤلوفاته، جمعها، ترجمة: محمد على العريان-مكتبة الأنجلو مصرية-القاهرة.

14- سامية حسن الساعاتي: الثقافة والشخصية-دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت-1983.

15- صالح الشماع: مدخل إلى علم النفس -مكتبة الفكر الجامعي-الطبعة 3-منشورات عويدات-بيروت-1978.

16-مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصور الوسطى: طيب تيزني-دار دمشق للطباعة والنشر الطبعة 5-1981.

17- عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية -دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت-1971.

18- علي الزين: العادات والتقاليد في العهود الاقطاعية -دار الكتاب اللبناني-دار الكتاب المصري-الطبعة 1-بيروت-القاهرة-1977.

19- عمار بوحوش ومحمد الذنيبات: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث -ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1995-

20- غريب محمد سيد أحمد: تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي -دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-1983.

21- فرودريش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية -ترجمة نبيلة إبراهيم-دار العلم-الطبعة 1-بيروت-1973.

22- فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية -دار النهضة العربية للطباعة والنشر-الطبعة 1-بيروت-1980.

23- عبد الرحمن حاج صالح: الأمثال الشعبية الجزائرية قادة بوتارن، ترجمة: ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1987.

24- قباري محمد إسماعيل: الأنثروبولوجيا العامة، صور من قضايا الإنسان -دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-1985.

25- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة -ترجمة: عبد الصبّور شاهين-مطبعة دار الجهاد-القاهرة-1959.

26- محمد الحسيني وآخرون: دراسات في التنمية الاجتماعية،-دار المعارف-الطبعة 4-القاهرة.

27- محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغيير "دراسة سوسيو-أنتروبولوجية في التغيير الاجتماعي" -المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1986.

28- محمد السويدي: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته -المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، الدار التونسية للنشر-تونس-الطبعة 1-1991.

29- محمد حسن غامري: طريقة الدراسة الأنثروبولوجيا الميدانية -المكتب الجامعي الحديث-الإسكندرية-1989.

30- محمد شفيق: البحث العلمي للخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية -المكتب الجامعي الحديث-القاهرة-1985.

31- محمد عاطف غيث: دراسات إنسانية واجتماعية -دار المعارف-القاهرة-مصر-1965.

32- محمد عبد المعين خان: الأساطير والخرافات عند العرب -دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت.

33- محمد مصطفى زيدان: علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

34- مصطفى الخشاب: دراسات في الاجتماع العائلي -دار النهضة العربية-بيروت-1981.

35- مصطفى الخشّاب: علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، المدخل إلى علم الاجتماع -مطبعة لجنة البيان العربي-القاهرة-1962.

36- ملحم حسن: مبادئ علم الإجتماع: هنري مندراس-ترجمة -ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر.

الدوريات:

37- أحمد بهاء : "اللغة العربية حين نريدها سلاحا سياسيا وإستراتيجيا وحضاريا" الدين، العربي، العدد 278، الصادر بتاريخ يناير 1982.

38-تقرير حول قطاع الثقافة معد من طرف مديرية الثقافة خاص بدورة المجلس الشعبي الولائي 2000.

39-"عالم الصحة": تحذير من تغذية الرضّع بالعسل"، عن الوكالات، يومية الرأي، العدد 1001 الصادر بتاريخ السبت 11 أوت 2001.

40-"عالم ميزاب المسحور، رحلة إلى الصحراء الجزائرية": مصطفى نبيل، العربي، العدد 286 الصادر بتاريخ سبتمبر 1982.

41-"وادي ميزاب، تراث جزائري حي": محمد المنسي قنديل، العربي، العدد 445 ديسمبر 1995.

42-"وثائق غير منشورة عن سيدي بلعباس"، فولتار دي برنيار، العدد 24، السنة السابعة (جويلية-أوت-سبتمبر) 1961.

43-وثيقة صادرة عن مديرية المجاهدين بعنوان "تخليدا لمعركة أولاد إبراهيم جانفي 1845".

44-وثيقة عن متحف الجهاد لمدينة سيدي بلعباس.

المراجع باللغة الأجنبية:

45-Ricahrd DF. Behrendt : l'homme à la lumière de la sociologie, Paris Payot, 1964.

46-Guide de Sidi Bel Abbes conçu par la sûreté de wilaya, 1986.

47-B. Malinouski, trois essais sur la vie sociale des primitifs, Paris, Payot. 1ère édition française. 1933.

48-Branislaw Malinowski : une théorie scientifique de la culture et autres essais, Paris, François Maspero, collection : les textes à l'appui, 1968.
« un document produit en version numérique par Jean-marie Tremblay, dans le cadre de la collection numérique » les classiques des sciences sociales.
Site web : http://www.uquac.uquebec-ca/zone30/classiques-des-sciences-sociales/index.html.internet.

49-Charles Henris Favrod, l'anthropologie, encyclopédie du monde actuel, 1977.

50-E.D. AumasM Mœurs et coutumes de l'Algérie, Paris, la bibliothèque arabe Sindbad, 1988.

51-Edward Sapir : antropologies, tome 1 : culture et personnalité, traduction française 1967, un recueil d'articles publiés entre 1917 et 1938, Paris édition de minuit, collection : le sens commun.
Un document produit en version numérique par Jean-marie Tremblay, dans le cadre de la collection numérique « les classiques des sciences sociales ».
Site web : phtt://www.uquac.uquebec-ca/zone30/classiques-des-sciences-sociales/index.html.internet.

52-Fiche signalétique de la wilaya de Sidi Bel Abbes de l'année 2001, D.P.A.T.

53-Fitzhugh Dorsn : Tout se joue avant six ans, tarduit de l'anglais par YvonsGeffray, Paris collection marabout, 1972.

54-Le Robert, dictionnaire d'Aujourd'hui.

55-Melville, Herscovits: les bases de l'anthropologie culturelle, Paris, François Maspero éditeur, collection la petite collection, 1967.
Un document produit en version numérique par Jean-marie Tremblay, dans le cadre de la collection numérique « les classiques des sciences sociales ».

Site web : http://www.uquac.uquebec-ca/zone30/classiques-des-sciences-sociales/index.html.internet.

56-Paris match N°27 du 26 septembre 2001.

57-Redouane Ainad Tabet, histoire d'Algérie, Sidi Bel Abbes, de la colonisation à la guerre de libération, ENAG/édition : Alger, 1999.

58-René Radot, la ville de Sidi Bel Abbes : histoire, légende, anecdotes, imprimeur, éditeur, 1927.

59-Ruth Benedict: échantillon de civilisation, Paris, édition Gallimard, collection : N.R.F les essais XIII 1950.
Un document produit en version numérique par Jean-marie Tremblay, dans le cadre de la collection numérique « les classiques des sciences sociales ».
Site web : http://www.uquac.uquebec-ca/zone30/classiques-des-sciences-sociales/index.html.internet.

الفهرس

الصفحة

المقدمة ..... أ

الفصل الأول : الفرد، الثقافة والمجتمع 1

المبحث الأول : المجتمع 3

المبحث الثاني : الثقافة 15

المبحث الثالث : علاقة الثقافة بالمجتمع 40

الفصل الثاني : العادات الإجتماعية 45

المبحث الأول : تعريف العادات والتقاليد وأهميتها الإجتماعية 48

المبحث الثاني : نشأة العادات الإجتماعية، خصائصها ووظائفها 52

المبحث الثالث : أنواع العادات الإجتماعية 65

الفصل الثالث : العادات والتقاليد السائدة في سيدي بلعباس 91

والمتعلقة برعاية الطفل الرضيع

مدخل : الفضاء الجغرافي والتاريخي للمدينة. 93

المبحث الأول : سرد لكل العادات السائدة 106

في المنطقة و المتعلقة برعاية الطفل الرضيع.

المبحث الثاني: الإستمارة وتفريغ البيانات مع قراءة في النتائج..... 125

المبحث الثالث: الاستنتاجات..... 163

الخـــاتـــمـــة..... 174

المصادر والمراجع..... 167